المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية الآداب
مركز البحوث

(٦١)

الرؤية الشعرية للأبعاد العرقية والاجتماعية حتى نهاية العصر الأموي

الأستاذ الدكتور/ فضل بن عمار العماري
قسم اللغة العربية

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية الآداب
مركز البحوث

(٦١)

الرؤية الشعرية للأبعاد العرقية والاجتماعية حتى نهاية العصر الأموي

الأستاذ الدكتور/ فضل بن عمار العماري
قسم اللغة العربية

دراسة علمية محكمة
الرياض ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

قواعد النشر والتوثيق بمركز البحوث - بكلية الآداب

ينشر المركز البحوث ذات العلاقة بالدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية. ويُحكّم المركز البحوث المقدمة للنشر من أعضاء هيئة التدريس بالكلية سواء منها ما موله المركز، وما لم يموله بالشروط التالية:

أولا: تعليمات عامة:

١ - أن لا يكون البحث قد سبق نشره.

٢ - أن تعبأ استمارة الطلب الخاصة بذلك.

٣ - أن يقدم الباحث إلى المركز ثلاث نسخ مطبوعة في صورتها النهائية متضمنًا الآتي:

ا) ملخصًا باللغة العربية في حدود صفحة واحدة.

ب) ملخصًا باللغة الإنجليزية في حدود صفحة واحدة.

٤ - ا) تقسيم البحث إلى عناوين رئيسة وفرعية. ب) ألا تقل عدد صفحات البحث عن أربعين صفحة.

ثانيا: المراجع:

- أن يتبع الباحث قواعد البحث والتوثيق التالية:

١ - يُشار للمراجع في المتن باسم المؤلف والسنة ورقم الصفحة بين قوسين على أن تجمع في نهاية المتن في قائمة مرتبة هجائيًا طبقًا لاسم المؤلف وسنويًا طبقًا للمؤلف الواحد. وتشمل القائمة اسم الدورية ورقم المجلد وأرقام الصفحات المنشور تحتها البحث.

* مثال للمقالة: الشريف، عبدالرحمن، ١٩٨٠، «دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية»، مجلة كلية الآداب، م٧، ص ص ٣ - ٢٥.

٢ - وفي حالة الكتب يُذكر اسم المؤلف (أو المحرر) وسنة النشر وعنوان الكتاب واسم الناشر ومدينة النشر. أما الرسائل فيُذكر عنوانها بعد اسم المؤلف وتاريخ تقديم الرسالة مع الإشارة إلى اسم الجامعة ومكانها.

* مثال للكتاب: الحازمي، منصور إبراهيم، ١٩٨١، فن القصة في الأدب السعودي الحديث، دار العلوم للطباعة، الرياض.

* مثال للكتاب المحرر: عبدالباقي، مصطفى حاج، ١٤١٣هـ، أهمية التحليل الطبوغرافي في تخطيط المناطق الجبلية، في الصالح، ناصر عبدالله، آخرون، (المحررون)، الكتاب العلمي للندوة الجغرافية الرابعة لأقسام الجغرافيا بالمملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

* مثال للرسائل: العبادي، عبدالله حسن، ١٩٨١م، توطين واستيطان البدو في المملكة العربية السعودية: دراسة اجتماعية، تحليلية، رسالة دكتوراه غير مطبوعة، جامعة ولاية ميتشجن، ميتشجن.

٣ - وفي حالات استثنائية يجوز للباحث بعد الاتفاق مع مركز البحوث أن يتبع إحدى طرق التوثيق العلمية الأخرى التي تناسب البحوث ذات الطبيعة الخاصة.

ثالثا: الجداول والمواد التوضيحية:

يجب أن تكون الجداول والرسومات واللوحات مناسبة لمساحة الصف في إصدارات المركز (١٢ × ١٨سم).

رابعا: التعليقات:

ترتب التعليقات بشكل متتابع وترقم كلها بأرقام مسلسلة حسب أسبقية ورودها في النص وتوضع في صفحات مستقلة في نهاية البحث.

خامسا: التحكيم:

١ - ترسل البحوث التي تنطبق عليها قواعد النشر بالمركز إلى محكمين اثنين يختارهم مجلس إدارة المركز في مجال تخصص الباحث من داخل المملكة أو خارجها. وفي حالة اختلاف رأي المحكمين يرسل البحث إلى مُحكم ثالث مرجح.

٢ - تقوم إدارة المركز بإبلاغ أصحاب البحوث بتاريخ استلام بحوثهم وكذلك بالقرار النهائي حول قبول البحث أو عدم قبوله للنشر ضمن إصدارات المركز.

سادسا: يعطى الباحث (١٠٪) من عدد النسخ التي يوافق مجلس إدارة المركز على نشرها.

سابعا: يحتفظ مركز البحوث بحقوق النشر لمدة خمس سنوات من تاريخ قرار مجلس إدارة المركز بالموافقة على نشر البحث.

ثامنا: لا تزيد النسخ التي يوافق مركز البحوث على نشرها على (٢٠٠٠) ألفي نسخة، ولا تقل عن (٥٠٠) خمسمائة نسخة، إلا إذا كان البحث محدود التداول، أو رأى مجلس إدارة المركز غير ذلك.

عنوان المراسلات: ترسل البحوث وخطابات طلب المعلومات باسم مدير المركز على العنوان التالي:
جامعة الملك سعود - كلية الآداب - مركز البحوث ص. ب ٢٤٥٦ - الرياض (١١٤٥١)

اللهم اغفر لي ولوالدي ولجميع المؤمنين والمؤمنات

قواعد النشر والتوثيق بمركز البحوث ـ بكلية الآداب

ينشر المركز البحوث ذات العلاقة بالدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية. ويُحكّم المركز البحوث المقدمة للنشر من أعضاء هيئة التدريس بالكلية سواء منها ما مولّه المركز، وما لم يموله بالشروط التالية:

أولا: تعليمات عامة:

١ ـ أن لا يكون البحث قد سبق نشره.

٢ ـ أن تعبأ استمارة الطلب الخاصة بذلك.

٣ ـ أن يقدم الباحث إلى المركز ثلاث نسخ مطبوعة في صورتها النهائية متضمنا الآتي:

أ) ملخصًا باللغة العربية في حدود صفحة واحدة.

ب) ملخصًا باللغة الإنجليزية في حدود صفحة واحدة.

٤ ـ أ) تقسيم البحث إلى عناوين رئيسة وفرعية. ب) ألا تقل عدد صفحات البحث عن أربعين صفحة.

ثانيا: المراجع:

ـ أن يتبع الباحث قواعد البحث والتوثيق التالية:

١ ـ يُشار للمراجع في المتن باسم المؤلف والسنة ورقم الصفحة بين قوسين على أن تجمع في نهاية المتن في قائمة مرتبة هجائيًا طبقًا لاسم المؤلف ومسويا طبقًا للمؤلف الواحد. وتشمل القائمة اسم الدورية ورقم المجلد وأرقام الصفحات المنشور تحتها البحث.

* مثال للمقالة: الشريف، عبدالرحمن، ١٩٨٠، «دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية»، مجلة كلية الآداب، م٧، ص ص ٣ ـ ٢٥.

٢ ـ وفي حالة الكتب يُذكر اسم المؤلف (أو المحرر) وسنة النشر وعنوان الكتاب واسم الناشر ومدينة النشر. أما الرسائل فيُذكر عنوانها بعد اسم المؤلف وتاريخ تقديم الرسالة مع الإشارة إلى اسم الجامعة ومكانها.

* مثال للكتاب: الحازمي، منصور إبراهيم، ١٩٨١، فن القصة في الأدب السعودي الحديث، دار العلوم للطباعة، الرياض.

* مثال للكتاب المحرر: عبدالباقي، مصطفى حسن، ١٤١٣هـ، أهمية التحليل الطبوغرافي في تخطيط المناطق الجبلية. في الصالح، ناصر عبدالله، آخرون، (المحررون)، الكتاب العلمي للندوة الجغرافية الرابعة لأقسام الجغرافيا بالمملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

* مثال للرسائل: العبادي، عبدالله حسن، ١٩٨١م، توطين واستيطان البدو في المملكة العربية السعودية: دراسة اجتماعية، تحليلية، رسالة دكتوراه غير مطبوعة، جامعة ولاية ميتشجن، ميتشجن.

٣ ـ وفي حالات استثنائية يجوز للباحث بعد الاتفاق مع مركز البحوث أن يتبع إحدى طرق التوثيق العلمية الأخرى التي تناسب البحوث ذات الطبيعة الخاصة.

ثالثا: الجداول والمواد التوضيحية:

يجب أن تكون الجداول والرسومات واللوحات مناسبة لمساحة الصف في إصدارات المركز (١٢ × ١٨سم).

رابعا: التعليقات:

ترتب التعليقات بشكل متتابع وترقم كلها بأرقام مسلسلة حسب أسبقية ورودها في النص وتوضع في صفحات مستقلة في نهاية البحث.

خامسا: التحكيـــم:

١ ـ ترسل البحوث التي تنطبق عليها قواعد النشر بالمركز إلى محكمين اثنين يختارهم مجلس إدارة المركز في مجال تخصص الباحث من داخل المملكة أو خارجها. وفي حالة اختلاف رأي المحكمين يرسل البحث إلى محكم ثالث مرجح.

٢ ـ تقوم إدارة المركز بإبلاغ أصحاب البحوث بتاريخ استلام بحوثهم وكذلك بالقرار النهائي حول قبول البحث أو عدم قبوله للنشر ضمن إصدارات المركز.

سادسا: يعطى الباحث (١٠٪) من عدد النسخ التي يوافق مجلس إدارة المركز على نشرها.

سابعا: يحتفظ مركز البحوث بحقوق النشر لمدة خمس سنوات من تاريخ قرار مجلس إدارة المركز بالموافقة على نشر البحث.

ثامنا: لا تزيد النسخ التي يوافق مركز البحوث على نشرها على (٢٠٠٠) ألفي نسخة، ولا تقل عن (٥٠٠) خمسمائة نسخة، إلا إذا كان البحث محدود التداول، أو رأى مجلس إدارة المركز غير ذلك.

عنوان المراسلات: ترسل البحوث وخطابات طلب المعلومات باسم مدير المركز على العنوان التالي:
جامعة الملك سعود ـ كلية الآداب ـ مركز البحوث ص. ب ٢٤٥٦ ـ الرياض (١١٤٥١)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية الآداب
مركز البحوث

(٦١)

الرؤية الشعرية للأبعاد العرقية والاجتماعية حتى نهاية العصر الأموي

الأستاذ الدكتور/ فضل بن عمار العماري
قسم اللغة العربية

دراسة علمية محكمة

الرياض ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنيـــة

العماري، فضل بن عمار

الرؤية الشعرية للأبعاد العرقية والاجتماعية حتى نهاية العصر الأموي- الرياض .

١٧٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم؛ (إصدارات مركز بحوث كلية الآداب، ٦١)

ردمك X - ٥٣٧-٠٥-٩٩٦٠

ردمد ٠٣٣٤- ١٣١٩

١- الشعر العربي- نقد- العصر الأموي

أ- العنوان ب- السلسلة

ديوي ٨١١،٠٠٩ ،٣ ١٧/٣٢٦٨

رقم الايداع : ١٧/٣٢٦٨

مطابع جامعة الملك سعود

الإهداء

إلى عمي الوقور

أبي شاهين ماجد بن سعد العماري

حُباً ووداً.

وإلى روح أخيه رحمه الله

أبي شاهين سلطان بن سعد العماري الدوسري

تغمده الله في فسيح جناته.

المحتويات

رقم الصفحة

الباب الثاني
صلات العرب بغيرهم

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

الباب الرابع
مهن النســاء

رقم الصفحة

الباب الخامس
العرقية والشعوبية

المقدمة

كان للعرب تصور عن وضعهم العرقي والاجتماعي، على الرغم من أنهم لم يعرفوا وحدة سياسية تضمهم جميعاً. فقد كانوا إما تابعين للقوتين العظميين: الفرس والروم، وإما قبائل بدوية متناثرة في وسط الجزيرة وأطرافها، وقد خضعت في بعض أجزائها للحكم الأجنبي مباشرة. ويبدو أن هذا التصور كان قديماً وموروثاً حتى أضحى جزءاً من التفكير والشعور عند العربي في جاهليته، ثم امتد بعد ذلك في العصر الإسلامي والعصر الأموي. وما كان التغيير الذي جاء به الإسلام ليعطي ثمراته الناجزة في خلق أمة إسلامية تتجاوز النعرات والعصبيات الجاهلية، وتسود فيها قيم السماحة والدين إلا بعد فترة ليست بقليلة من الزمان. ومن ثم كان من الطبيعي أن نجد في الشعر الأموي -على وجه الخصوص- صدى تردد في جنباته بعض من تلك التيارات العصبية القبلية، خاصة وأن رجالات الدولة الأموية كانوا أشد حرصاً على التمسك بتلك الأعراف الموروثة.

ولو أردنا أن نستقصي تلك الرؤية في مظانها، فسوف نجد أنها تتخذ شكل العرف المتداول، بل إن الألفاظ والتعبيرات التي وردت فيها تكاد لا تختلف فيما بينها. وهذا التداول يجعلنا نقيس ما ورد على شاكلتها، فنخرج بتصور شامل ومدعم يمكن إثباته والقياس عليه قياساً علمياً بما يدعم الفكرة من ناحية، ويؤطر للأسلوب واللغة من ناحية أخرى.

وإذا نظرنا إلى الوقائع التي بين أيدينا في ضوء العلوم الإنسانية الحديثة، فسنجد أن علم السلالات يؤكد مجمل تلك الرؤية التي أشرنا إليها. فالصورة التي تتردد في الشعر هي الصورة الأنموذج للعربي من ناحية الهيئة: حجم الجمجمة، طول الجسم، تقوس الأنف، اللون -إضافة إلى سمات أخرى مثل: قلة الشعر في الجسم، أو لون الشوارب واللحى، أو العيون- وأما علم الاجتماع، فيؤكد تلك النظرة المثالية التي تعكس روح البدوي في صحرائه من حيث ترفعه عن ممارسة المهن الصناعية، مع تمجيد للروح القتالية واعتنائه بخيله وإبله.

تمهيد

أصل العرب

العرب في نظر علم الأجناس

يرجع العلماء، استقرار الإنسان في الجزيرة العربية إلى حدود ١٠٫٠٠٠ سنة ق.م.(١) ومعلوم أن الآشوريين « أول من أطلق مصطلح «عرب» على سكان هذه المنطقة(٢). كما ينقسم العرب إلى قسمين «العرب العاربة»، وهم العرب الخالصو العروبة، والعرب المستعربة وهم المنحدرون من إسماعيل عليه السلام. ويمتاز العرب المستعربة بالجمجمة المستطيلة(٣)، والأنف البارز المقوس(٤)، ويمتاز أهل الشمال منهم باللون الأسمر، والقامة الممدودة، كما أن تقاطيع وجوههم

---

(١) إبراهيم أحمد رزقانه، العائلة البشرية (مصر، مكتبة الآداب، ١٩٦٠-١٩٦١م) ص ص ١٨١-١٨٥.
محمود الأمين: مذكرات طلاب السنة الأولى الجامعية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٣٨٨هـ-١٣٨٩هـ، ص ١٠.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب (بيروت، دار العلم للملايين، ط أولى، ١٩٦٨م) ج١، ص ٢٦.

(٣) جواد علي، المفصل ....، ج١، ص ٢٢٦، ٢٢٨. عمر رضا كحالة، العرب (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط أولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ص ٣٤-٣٩.
الأمين، مذكرات، ص ١٨، وانظر: نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم، (بيروت؛ مط دار الفكر، ط٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ٣٥.

(٤) محمد النويهي، ثقافة الناقد الأدبي (القاهرة، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط أولى ١٩٤٩م)، ص ص ٢٢٢-٢٢٧.

واضحة. وعلى العموم، فأهل الشمال مستطيلو الرؤوس، أشد شبهاً بأجناس البحر الأبيض المتوسط، أما عرب قحطان: فيمتازون بالجمجمة العريضة، والفك العريض، والأنف الأقنى المقوس أيضاً، وهو كذلك الأنف الطويل الدقيق الأرنبة والذي في وسطه حدب، وهم أقرب إلى اسوداد اللون، وتُشبه سحنتهم، من وجوه كثيرة، سحنة الأفارقة من أهل الحبشة والصومال*، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن هجرات شمالية من آسيا الصغرى قد اندفعت إلى هذه المنطقة(١). ويجمع هوتشنسون الملامح المميزة للعرب في الصفات التالية: تميل سحنة بشرتهم إلى اللون البرونزي الداكن، وشعر رؤوسهم أسود، وعيونهم واسعة، وأنوفهم سمراء بارزة، وهم إجمالاً من ذوي البنية المعتدلة، أما لحاهم وشواربهم، فهي غالباً ما تكون غير كثة أو كثيفة(٢).

---

* يتضمن الشعر البدوي، وهو شعر عرب الشمال هجاءً لأهل اليمن انصب على وصفهم بأصحاب الحرف، فهّجي الأنصار بأنهم سود، مثلا. ولن نخوض في هذا، لأنه معدود نوعا من أنواع الهجاء القبلي.

(١) نسيب وهيبه الخازن، من الساميين إلى العرب (بيروت، مط. المكتب العالمي، ب ت)، ص ٩-١٨.

وانظر وليام هاولز، ما وراء التاريخ، تر: أحمد أبو زيد (بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٤/١٩٨٤م)، ص ص ٢١٧-٢١٨، ٢٢٤.

كحاله، العرب، ص ٣٤.

الأمين، مذكرات ....، ص ١٨.

(٢) H.N. Huttchinson, The living Rases of Mankind (London Harzell, Watson and Viney ltd. n.d)pp. 241

وعلى كل، فأهم المميزات الجسمانية للعرب، هي أنهم يتميزون بقامة معتدلة، ووجه مستطيل، ويكون الفك الأسفل ضيقاً وصغيراً، والأكتاف تميل إلى التقوس ثم يتساوى القسم الأعلى من الجسم مع القسم الأسفل منه في الطول عند النقطة العليا من الورك، واللون العام للعرب، هو اللون الأسمر الداكن (الأخضر).

ويعتقد بعض الباحثين الأنثروبولوجيين أن العرب العدنانيين مختلفون كل الاختلاف عن العرب القحطانيين، ففي حين ينتسب القحطانيون إلى الساميين، ينتسب العدنانيون إلى الحاميين، فهم شديدو القرابة بالجنس المصري، وقد كان هناك من يذهب إلى الربط بين الهند والجزيرة العربية(١).

ويؤكد العلماء اليوم على أن اللغة الحميرية تتصل باللغات الحبشية والعبرية أكثر من اتصالها بالعربية الشمالية.

وعلى كل حال، فإن أقدم النقوش الآشورية تربط بين العرب العاربة، الذين منهم الثموديون والسبئيون. وتذكر جماعات عربية أخرى.

وقد ذكر أحد النقوش: «العرب الذين يعيشون في بلاد سحيقة في الصحارى، ولايعرفون أجنبياً ولا قوّادا، ولم يسبق أن أدوا جزية لأي ملك». كما ذكرت قبيلة قدار التي ورد ذكرها في التوراة(٢).

---

(١) Sir William Jones Knight, Anniversary Discourse, Asiatic Researches, v.2, 1801 p.7.

(٢) الخازن، من الساميين...، ص ١٥٣-١٥٥.

وانظر جواد علي، المفصل...، ج١، ص.ص ٥٧٧، ٥٨٦، ٥٩٣.

الباب الأول

خصائص العرب

مكانة العربي الاجتماعية

حرص العربي حرصاً شديداً على مكانته الاجتماعية، والاعتزاز بأرومته العربية الخالصة. ومن ثم انقسم المجتمع العربي إلى طبقات يأتي في قمتها: الأحرار، ثم الموالي، فالعبيد. وكانت القبائل العربية تنظر إلى نفسها نظرة استعلاء وكبرياء، وقد وجدنا انعكسات هذه النظرة في الشعر القديم.

قال قيس بن الخطيم:

فَلَنْ نَنْفَكَّ نَقْتُلُ مَاحَيِينَـا رِجَالَكُـمْ وَنَجْعَلَكُمْ عَبِيداَ (١)

وقال الحصين بن الحمام:

فَألحَقْنَ أقْوَاماً لِئَاماً بِأصْلِهِمْ وَشَيَّدْنَ أحْسَاباً وَفَاجَأنَ مَغْنَمَا (٢)

(١) ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، (بيروت، دار صادر، ط٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ص ١٤٩.

(١) المفضل بن محمد الضبي، المفضليات، رواية ابن الأنباري، تحقيق شارلز لايل (اكسفورد، مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٢١م)، ص ١٢٠.

الفصل الأول

لون العرب

البياض

على الرغم من أن اللون الأسمر بشكل عام، هو اللون العام للعرب، فقد كان الشعراء يفتخرون بالبياض في معنى نقاء العرض وسلامته من الأدناس، كناية عن النبل والكرم. واستعمال البياض في هذا المعنى كثير معروف. يقول الحطيئة:

مَطَاعِينُ فِي الهَيْجَاءِ بِيضٌ وَجُوهِهِمْ
إِذا ضَجَّ أَهْلُ الرَّوْعِ سَارُوا هُمُ وُقْرُ(١)

ويقول:

وَأَبْنَاؤُهُ بِيضٌ كِرَامٌ نَمَا بِهِم
إِلَى السُّورَةِ العُلْيَا أَبٌ غَيْرُ تَوْأَمِ(٢)

---

(١) ديوان الحطيئة، تحقيق نعمان أمين طه، (القاهرة، مط. مصطفى البابي الحلبي، ط أولى، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، ص ١٤٥. وانظر أحمد مختار، الألوان واللغة (الكويت، دار البحوث العلمية، ط أولى، ١٩٨٢م)، ص ص ٣٥-٤٧. إبراهيم دملخي، الألوان نظرياً وعملياً (حلب، مط، أوفست الكندي، ط أولى، ١٩٨٣م) ص ص ٧٧-٩٢.

(٢) ديوان الحطيئة، ص ٨٩.

وقال ثعلبة بن صُعَير:

أَسُمَيَّ مَا يُدْرِيكِ أَنْ رُبَّ فِتْيَـةٍ
بِيضِ الوُجُـــوهِ ذَوِي نَدىً وَمَآثِرِ(١)

وقد شبه كُثيِّر وجوه ممدوحيه بدنانير رومية، وهو لايقصد من ذلك إلا نقاءها وصفاءها. وهو معنى يساير المعنى العام، كما أنه متكرر في شعره فقال:

مِنَ النَّفَرِ البِيضِ الَّذِينَ وُجُوهُهُمْ
دَنَانِيرُ شِيفَتْ مِنْ هِرَقْلٍ بِرَوْسَـــمِ(٢)

ومن تلك الكنايات، وصف الوجوه بالبياض، واللثات بالحمرة، كناية عن سيلان الريق، فكأنها تسيل دماً من محبتها للمغنم، ولولا ذلك لكانت حمرة اللثات عيباً، لأنها من صفة العجم لا من صفة العرب، حسبما رأى ابن الأنباري، والعرب، إنما توصف بسمر اللثات. قال سُبَيع بن الخطيم التيمي:

وَمَجَالِسٍ بِيضِ الوُجُوهِ أَعِـزَّةٍ حُمْرِ اللِّثَاتِ كَلاَمُهُمْ مَعْرُوفُ(٣)

وهناك رواية أخرى هي: حو اللثات، وهي ما يتناسب مع لون العرب.

---

(١) الضبي، المفضليات، ص ٢٦٠.

(٢) ديوان كثير عزة، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ص ٣٠٢

(٣) الضبي، المفضليات، ص ٧٣٠.

الحمـــرة

أما اللون الأبيض حقيقة، فقد كان عندهم البرص، قال أحدهم:

وَلاَ البُرْصِ الفِقَاحِ بَني نُمَيْرٍ   وَلاَ العَجْلانِ زَائِدَةِ الظَّلِيـــمِ(١)

وقد بين المغيرة بن حبناء ذلك في قوله:

لاَ تَحْسَبَنَّ بَيَاضاً فِيَّ مَنْقَصَةً   إِنَّ اللَّهَامِيمَ فِي أَقْرَابِهَا بَلَقُ(٢)

أو كما قال الأخر:

يَاكَأسُ لاتَسْتَنْكِرِي نُحُولِـي   وَوَضَحاً أَوْفَى عَلَى خَصِيلِي(٣)

وهم يقولون في الأبيض الأحمر. واللون الأحمر كان من علامات الهجنة، ولذلك قال امرؤ القيس:

يَا هِنْدُ لاَ تَنْكِحي بُوهَـــةً   عَلَيْـــهِ عَقِيقَتُـــه أَحْسَبَـــا(٤)

---

(١) أبو علي أحمد بن محمد الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين (و) عبدالسلام هارون (مصر، مط. لجنة البيان العربي، ط. أولى، ١٣٧١هـ/١٩٥١م) ج٣، ١٥٣٨.

(٢) أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق محمد عبدالسلام هارون (مصر، مؤسسة الخانجي، ط٣ ب.ت)، ج٥، ص ١٦٥. اللهاميم: جمع لهموم، وهو الجواد من الناس والخيل. الأقراب: جمع قُرب: وهو الخاصرة. بلق: سواد وبياض.

(٣) المصدر نفسه.

أوفى: ارتفع. الخصيل: جمع خصيلة، وهي الخصلة من الشعر.

(٤) ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر، مط. دار المعارف، ١٩٥٨م)، ص ١٢٨.

وقوله: «علية عقيقته»، العقيقة: شعره الذي يولد عليه. وهو يصفه باللؤم والشح، فيقول: كأنه لم يحلق عقيقته في صغره حتى شاخ، أي إنه لا يتهيأ لها ولا يتنظف، انظر، التاج «حسب».

والحُسبة: لون يضرب إلى الحمرة، وهي مذمومة عند العرب. **والصهبة:** حمرة يعلوها بياض(١). قال الحطيئة في هجائه الحصين بن لقمان العبسي، ناعتاً أمه بالحمراء، فنسبها إلى العجم، لأن الحمرة من صفات العجم:

وَأُمُّـكَ حَمْـرَاءُ زُوفِيَّـةٌ لِنَقْلِ الحَشِيشِ جُرَازِ الحَطَبْ(٢)

وقال القتّال الكلابي، وكان شديد حمرة اللون:

وَرِثْنَا أَبَانَا حُمْـرَةَ اللَّـونِ عَامِـراً
وَلاَ لَوْنَ أَدْنَى لِلْهِجَـانِ مِنَ الحُمْرِ(٣)

وقد هجا سويد بن أبي كاهل قضاعة بكونهم حمرا، أي ليسوا عربا، فقال:

فَأَدُّوا إِلَى بَهْرَاءَ فِيكُمْ بَنَاتِهِ وَأَبْنَـاءَه إِنَّ القُضَاعِيَّ أَحْمَـرُ(٤)

ولقد دخل إبراهيم بن متمم بن نويرة على عبدالملك بن مروان، فقال له: وأراك أحمر قَرِفا، أي شديد الحمرة(٥). فالحمرة والبياض كلمتان مترادفتان؛

---

(١) المرزوقي، الحماسة، ج٣، ص ١٤٥٢.
(٢) ديوان الحطيئة، ص ٢٩٧. الزَّوف: زوف الحمامة، إذا نشرت جناحيها وذنبها على الأرض، وكذلك زوف الإنسان، إذا مشى مسترخي الأعضاء.
(٣) ديوان القتال الكلابي، تحقيق إحسان عباس (بيروت، دار الثقافة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ص ٦٤.
(٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (بيروت مط. دار الثقافة، ١٩٦٥م) ج١٣، ص ١٠٤.
(٥) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر (مصر، دار المعارف، ١٩٦٦م)، ج١، ص ٣٣٩.

تقول: امرأة حمراء، أي بيضاء، والعرب لا تقول رجل أبيض من بياض اللون، كما مرّ، وإنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب، فإذا أرادوا الأبيض من اللون، قالوا : أحمر(١)، ولقد كان عقيل بن عُلَّفة شديد العصبية، حتى إنه رد إبراهيم بن هشام بن عبدالملك عندما خطب إليه، وذلك لأنه كان أبيض شديد البياض، وقال:

رَدَدْتُ صَحِيفَةَ القُرَشِيِّ لَمَّا   أَبَتْ أَعْرَاقُهُ إِلاَّ احْمِرَارَا(٢)

وقد قال قائلهم في ابن له، وقد أنكر لونه:

مَا شَأْنُهُ أَحْمَرُ كَالْهَجِينِ
خَالَفَ أَلْوَانَ بَنِيَّ الجُونِ(٣)

وقال جرير وهو يهجو البعيث، وكانت أمه أمة من أصبهان:

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، «حمر».
وفي اللسان: «حمر»: «والعرب إذا قالوا: فلان أبيض وفلانة بيضاء، فمعناه الكرم في الأخلاق لا لون الخُلقة. وإذا قالوا: فلان أحمر وفلانة حمراء عنوا بياض اللون».

(٢) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر، مط. دار النهضة، ١٩٨١م)، ج٢، ص ٤٩.

(٣) إسماعيل بن القاسم القالي، الأمالي (مصر، مط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م)، ج١، ص ٢٨٥. وانظر عن الحمرة: ص.ص ٥٧-٥٨.

وَبَنُو البَعيثِ ذَكَرْتُ حُمْرَةَ لَوْنِهِـمْ
فَشَفَيْتُ نَفْسِي مِنْ بَنِي الحَمْـرَاءِ(١)

وقال أيضاً:

أَشْبَهْتَ حُمْرَانَ وَعَصْلَ كِيكَا أَمَا تَرَى الحُمْـرَةَ فِي بَنِيكَـا(٢)

ومع ذلك، فقد وجدنا أوس بن حجر يصف رجلاً قتيلاً طعن في جنبه (ضبنه) بطرف الرمح (ثعلب)، وعليه تجمعت النسور:

وَأَحْمَـرُ جَعْداً عَلَيهِ النُّسو رُ فِي ضِبْنِه ثَعْلَـبٌ مُنْكَسِر(٣)

وهو يقصد بالأحمر رجلاً أبيض شريفا، ولعله إنما قصد من ذلك هجاء قومه والاستهانة بهم. فالحمرة صفة تلصق بالعجم لا بالعرب، ومن هنا قال القائل لبدر ابن الهذيل يصف البوابَيْن كردوس وآخر مثله بالأحمرين أنهما من العجم:

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى المُهَلَّبِ حَاجَةً عَرَضَتْ تَوابِعُ دُونَهُ وَعَبِيـدُ
العَبْدُ كُرْدُوسٌ وَعَبْدٌ مِثْلُـهُ وَعِلاَجُ بَابِ الأَحْمَرَيْنِ شَدِيدُ(٤)

وعلى هذا النحو جعل حسان بن ثابت عبدالله بن أبي سرح عبدا، وأضاف

---

(١) ديوان جرير، تحقيق محمد إسماعيل الصاوي (مصر، مط. الصاوي، ط أولى، ١٣٥٣هـ)، ص ١١.

(١) ديوان جرير، ص ٤٠٨. حمران وعصل كيكا: رجلان من العجم.

(٢) ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم (بيروت، دار صادر، ط٣، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص ٣٠

(٣) المبرد، الكامل، ج٣، ص ٣٨٩.

له صفتين من صفات الأعاجم، هما: عرض القفا، وسبوطة الشعر:

أَعُبْدُ هَجِيَنِ أَحْمَرُ اللّــوْنِ فَاقِعٌ
مُوتَــرُ عِلْبَـاءِ القَفَــا قَطَطَ جَعْـدُ(١)

وعلى العموم، فالعرب كانوا يرون في الحمرة صفة للعجم من الفرس والروم لغلبة البياض على ألوانهم. ومن هنا قال عمرو بن هند للحمراء بنت ضمرة لما نظر إلى حمرتها: «إني لأحسبك أعجمية»(٢).

اللون الأبيض في النساء

وإذا كان اللون الأبيض المرتبط حسياً بالحمرة مذموماً في الرجال على ذلك النحو الذي ينظرون إليه، إذ ينصرف البياض معنوياً إلى كرم الأصل بما يدل عليه إشراق الوجه الأبيض من ذلك، فإن البياض الذي لا يصل إلى حد اليقق، هو في النساء، لاشك في ذلك، صفة محمودة لجمالها. يقول كثير:

مِنَ الخَفِرَاتِ البِيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا
إذَا مَا انْقَضَتْ أُحْدُوثَةٌ لوْ تُعِيدُها(٣)

---

(١) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات (بيروت، دار صادر، ١٩٧٤)، ط ، ص ١٦٣.

(٢) أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد (القاهرة، مط. السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ج١، ص ٣٤٩.

(٣) ديوان كثير، ص ٢٠٠.

كما قال في المعنى نفسه:

مِنَ الخَفِرَاتِ البِيْضِ لَمْ تَرَ شَقْوَةً
وَفِي الحَسَبِ المَحْضِ الرَّفِيعِ نِجَارُهَا(٢)

وقال عبدالله بن قيس الرقيات:

أُمُّكَ بَيْضَاءُ مِنْ قُضَاعَةَ فِي الـ
بَيْـتِ الَّـذِي يُسْتَظَلُّ فِي طُنُبِـهْ(٣)

وقال عويف القوافي:

وَمَا أُمُّكُمْ تَحْتَ الخَوَافِقِ وَالقَنَا
بِثَكْلَى وَلاَ زَهْرَاءَ مِنْ نِسْـوَةٍ زُهْرِ

أي ليست بكريمة في نفسها(٣).

وهكذا يتضح لنا أن اللون الأبيض في الرجال، هو اللون المرادف للحمرة، أما في النساء، فإلى جانب مدحهن بالبياض حقيقة، فهو قد ينصرف أيضاً إلى كونه أثراً من أثر النعمة والرفاهية. يقول الحطيئة:

مِنَ البِيضِ كَالْغِزْلاَنِ وَالغُرِّ كَالدُّمى
حِسَانٍ عَلَيْهِنَّ المَعَاطِـفُ وَالأُزُرْ

---

(١) ديوان كثير، ص ٤٢٩.

(٢) ديوان عبدالله بن قيس الرقيات، تحقيق، محمد يوسف نجم (بيروت، دار صادر ١٣٨٧هـ/١٩٥٨م)، ص ١٤.

(٣) المرزوقي، الحماسة، ج٣، ص ١٥٢٩.

تَرَى الزَّعَفَرَانَ الوَرْدَ فِيهِنَّ شَامِلاً
وَإِنْ شِئْتَ مِسْكاً خَالِصاً لَوْنُهُ ذَفِرْ(١)

بل وصف الحطيئة إحدى النساء بأنها صفراء، وهو لا يقصد بتلك الصفة اللون الطبيعي لها، وإنما من أثر الطيب واستخدامها للزعفران، فقال:

لَقَدْ أُغَادِي بِهَا صَفْرَاءَ آنِسَةً   لاَ تَأْتَلِي دُونَ مَعْرُوفٍ بِأَقْسَامِ(٢)

وقال قطري بن الفجاءة، مبيناً أثر التطيب والنعمة في المرأة:

مِنَ الخَفِرَاتِ البِيضِ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا
شِفَاءً لِذِي بَثٍّ وَلاَ لِسَقِيمِ

ثم قال:

مُنَعَّمَةٌ صفْرَاءُ حُلْوٌ دَلاَلُهَا   أَبِيتُ بِهَا بَعْدَ الهُدُوِّ أَهِيمُ(٣)

ولكن العرب حين يصفون لون المرأة، قد يعنون مجرد اللون الأصفر الذي يمازج البياض، فيكون اللون دُرِّيّاً أجمل من البياض الناصع الذي يوصف باليقق. قال ذو الرمة:

كَحْلاَءُ فِي بُرَجٍ صَفْرَاءُ فِي نَعَجٍ
كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبُ(٤)

---

(١) ديوان الحطيئة، ص ٣٠٠. الذَفِر: الذكي الرائحة.

(٢) المصدر نفسه،ص ٢٢٥. آنسة : ذات أنس ، في غير ريبة . لا تأتلي : لا تحلف . لا تصنع معروفاً ، أي سلاماً .

(٣) شعر الخوارج، تحقيق، إحسان عباس (بيروت، مط. دار الشروق، ط٤، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ص ١٢٠، ١٢٢.

(٤) ديوان ذي الرمة، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح (بيروت، مؤسسة الإيمان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ج١، ص ٣٣.

والبياض الناجم عن النعمة واضح في قول المرار بن منقذ:

قَدْ نَرَى البِيضَ بِهَا مِثْلَ الدُّمَى   لَمْ يَخُنْهُنَّ زَمَانٌ مُقْشَعِرْ

وبعد أن وصفن بالنعومة في قوله:

يَتَلَهَّيْنَ بِنَوْمَاتِ الضُّحَى   رَاجِحَاتِ الحِلْمِ وَالأُنْسِ خُفُرْ

قال:

رَاقَهُ مِنْهَا بَيَاضٌ نَاصِعٌ   يُؤْنِقُ العَيْنَ وَصَافٍ مُسْبَكِرْ(١)

كما قال مزرد، وهو يعني كذلك بالبياض المرأة المضيئة المشرقة لوناً:

وَبَيْضَاءُ فِيهَا لِلْمُخَالِمِ صَبْوَةٌ   وَلَهْوٌ لِمَنْ يَرْنُو إِلَى اللَّهْوِ شَاغِلُ(٢)

وهذا المعنى هو الذي طرقه مالك بن زغبة الباهلي في قوله:

وَفِيهِنَّ بَيْضَاءُ العَوَارِضِ طَفْلَةٌ   كَهَمِّكَ لَوْ جَادَتْ بِمَا لَا يُضِيرُهَا

لَهَا بَشَرٌ صَافٍ وَوَجْهٌ مُقَسَّمٌ   وَغُرُّ الثَّنَايَا لَمْ يُفَلَّلْ أُشُورُهَا(٣)

وقال ابن الرقيات:

شَبَّ البَيَاضُ أَمَامَ صُفْرَتِهَا   فِي رِقَّةِ الدِّيبَاجِ وَالعِتْقِ(٤)

---

(١) الضبي، المفضليات، ص ص ١٥٤-١٥٥. وانظر التاج، «بيض». مسبكر: منبسط مسترسل

(٢) الضبي، المفضليات، ص ١٦١.

(٣) الأخفش الأصغر، كتاب الاختيارين، تحقيق فخر الدين قباوة (دمشق، مط. محمد هاشم الكتبي، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص ١٤٨.

(٤) ديوان ابن الرقيات، ص ٣٢.

وقد اشتهر بعض القبائل ببياض بشرة نسائها، مثل بني مدلج(١)، إذ اللون المثالي لنساء العرب هو اللون الأبيض، أما اللون الأبيض اليقق، كما مرّ بنا في الرجال، فهو اللون الخاص بغيرهن. فالأعراب يسمون نساء الأمصار الحوريات لبياضهن، وتباعدهن عن قشف الأعراب، وعنايتهن بأنفسهن، كما قال:

فَقُلْتُ إنّ الحَوَارِيّاتِ مَعْطَبَــةٌ إذَا تَفتّلْنَ مِنْ تَحْتِ الجَلابِيبِ(٢)

الخضرة أو السمرة

فلون العرب في الرجال، هو الخضرة أو السمرة كما سيأتي، أما في النساء فالبياض الصافي. فإذا ما أرادت العرب اللون الأبيض حقيقة، فهم يصفون به القيان، لأنهن أجنبيات كالروميات، قال سلامة بن جندل:

وَعِنْدَنَا قَيْنَةٌ بَيْضَاءُ نَاعِمَــةٌ مِثْلُ المَهَاةِ مِنَ الحُورِ الخَرَاعِيبِ(٣)

ويختلط اللون الأسمر بالخضرة، فيمتدحون بها، كما قال الحصين بن الحمام واصفا بني محارب من قيس عيلان بأنهم خضر، سمُّوا بذلك لحلكة ألوانهم.

وَلاَ غَرْوَ إلاّ الخُضْرَ خُضْرُ مُحَارِبِ
يُمَشّونَ حَوْلِي حَاسِراً وَمُلأَمُــا(٤)

---

(١) الزبيدي، التاج، «أدم».
(٢) الزبيدي، التاج، «حور».
(٣) ديوان سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدين قباوة (حلب، المكتبة العبرية، ط أولى، ١٣٧٧هـ/١٩٦٨م)، ص ٢٢٧.
(٤) المفضليات، ص ١١٢.

وقال المحاربي يفخر بأنه من الخضر:

فِي خُضْرِ قَيْسٍ نَمَانِي كُلُّ ذِي فَخَرٍ
صَعْبِ المَقَادَةِ آبي الضَّيْمِ شَعْشَاعِ(١)

وقال الشماخ:

وَحَلأَهَا عَنْ ذِي الأَرَاكَـةِ عَامِـرٌ
أَخُو الخُضْرِ يَرْمِي حَيْثُ تَكْوِي النَّوَاجِزَ(٢)

وقال الجاحظ موضحاً هذه الفكرة:

«والعرب تفتخر بسواد اللون... وهي تقول: فلان هجان، وأزهر أبيض، وأغر... ليس تريد بهذا بياض الجلد، إنما تريد به كرم الجوهر ونقاءه، وقد فخرت خضر محارب بأنها سود، والسواد عند العرب الخضرة»(٣).

وفي مكان آخر قال:

«وأصل الخضرة إنما هو لون الريحان والبقول، ثم جعلوا بعدُ الحديد أخضر، والسماء خضراء، حتى سموا بذلك الكحل والليل، قال الشماخ بن ضرار:

---

(١) أبو عمر عثمان بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت)، ج١، ص ٢٠٨.

(٢) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق صلاح الدين الهادي (مصر، مط. دار المعارف ١٩٧٧م)، ص ١٨٢. حلأها: حلأ الإبل والماشية عن الماء طردها أو حبسها عن الورود ومنعها أن ترده. ذو الأراكة: موضع.

(٣) الجاحظ: رسائل الجاحظ، «فخر السودان على البياض»، ج١، ص ٢٠٧. وانظر، ابن منظور، اللسان، «خضر».

ورُحنَ رواحا من زَرودَ فنازَعتْ زَبالةَ جلباباً من الليل أخضر(١)

وهكذا، **فالخضرة** مرادفة **للسمرة**، كما هو مبين، وكما قال حسان يمدح الخضرة:

أوْفي الذُّؤابَةِ مِنْ تَيْمٍ رَضِيتُ بِهِـمْ
أَوْ مِن بَنِي جُمَحِ الخُضْرِ الجَلاعِيد(٢)

وقال الفضل بن عباس بن عتبة اللهبي مؤكدا الخضرة، وكان الفضل أسود:

وَأَنَا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِـــي أَخْضَرُ الجِلْدَةِ مِنْ نَسْلِ العَرَبْ(٣)

فلون العرب، هو **السمرة** أو **الخضرة**، والعرب تصف ألوانها، إذاً، بذلك وتصف ألوان العجم بالحمرة، كقول مسكين الدرامي:

أَنَا مِسْكِينٌ لِمَنْ يَعْرِفُنِـــي لَوْنِيَ السُّمْرَةُ أَلْوَانُ العَـرَبْ(٤)

ومثله قول معبد بن أخضر:

سَـأَحْمِي حِمَاءَ الأَخْضَرِيِّينَ إِنَّـــــهُ
أَبَى النَّاسُ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا ابْنُ أَخْضَرَا

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص ٢٤٦.

(٢) ديوان حسان بن ثابت، ج١، ص ٣٤٩.

(٣) شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت، معجم البلدان (بيروت، دار إحياء التراث العربي د.ت) ج٣، «السواد». وانظر التاج: «خضر».

(٤) ديوان مسكين الدارمي، تحقيق عبدالله الجبوري (و) خليل إبراهيم العطية (بغداد، مط. البصري، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م)، ص ٢٢.

وَهَلْ لِيَ فِي الحُمْرِ الأَعَاجِمِ نِسْـــبَةٌ
فَآنَـفُ مِمَّا يَزْعُمُـونَ وَأَنْكَـــــرَا(١)

ومع ذلك، فالخضرة إذا توجهت للون الأسود حقيقة، فهي ذم عندهم قال جرير:

كَسَا اللّهُ تَيْماً خُضْرَةً فِي وُجُوهِهَا
فَيَا خِزْيَ تَيْمٍ مِنْ سَرَابِيلِهَا الخُضْرِ(٢)

إذ الأخضر عند العرب -حسب هذا المعنى- هو الأسود(٣). وهو اللون الذي ينصرف إلى العبيد السود، أو من يمارس المهن التي تكسب مثل هذا اللون كالحياكة مثلاً. وهذا المعنى واضح من الشطر الأول الذي يجعلهم اكتسبوا هذا اللون اكتساباً، كما تؤكده عبارة سرابيلها الخضر، كما سنرى في وصف الجعدي للراعي«أطلس». وقد حدد ذلك أحدهم فقال:

(١) الزبيدي، التاج، «خضر».

(٢) ديوان جرير، ص ٢١٢، وانظر التاج «ويل»، السربال: القميص والدرع.

(٣) الزبيدي، التاج، «حنتم». وانظر حول مدلول الخضرة، جميل سعيد، إحساس الشعراء العرب بالألوان والأصوات، مجلة كلية الآداب والعلوم، بغداد، ع١، حزيران، ١٩٥٦، ص ٨.

أنْسُبُ العبدَ إلى آبائـــه　　　　أسودَ الجلدة من قوم عُبُدْ(١)

---

(١) التاج، «عبد».

ولكن أبا بكر الأنباري يعلق على بيت اللهبي المستشهد به في هذا البحث، فيقول: «مدح بالخصب والعطاء». ثم يقول: «والخضرة عند العرب اللؤم»، واستشهد ببيت جرير المذكور هنا: «كسا الله تيما خضرة...». ولا شك أن الذم متوجه إلى السواد الحقيقي.

أبو بكر محمد القاسم الأنباري، الزاهر، تحقيق حاتم الضامن (بغداد، دار الرشيد، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج١، ص ٦٢٥.

ثم إن ابن المجاور (٦٠١هـ-٦٠٩هـ)، يقول عن قريش: «وهم رجال سمر لأن جل مناكحهم الجواري السود من الحبش والنوبة، طوال الجثث»...الخ.

ابن المجاور جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، صفة بلاد اليمن، تحقيق أوسكر لوفغرين (لندن، مط. بريل ١٩٥١م)، ج١، ص ٥.

الفصـل الثاني

المظاهر الجسـدية

الأنـــف

من المظاهر الجسمية التي لحظها العربي في غيره، واستبعدها عن نفسه كون الأنف كثير اللحم ليس رقيقاً، كأنوف العرب. فهذا الجميح يعير بني رواحة بذلك فيقول:

وَبَنُو رَوَاحَــةَ يَنْظُـرُونَ إِذَا   نَظَـرَ النَّـدِيُّ بِآنُفٍ خُثْـمِ(١)

فذلك الأنف الأخثم: أنف طرفه عريض متطامن، قال معن ابن أوس:

تَوَالَدَها بِيضٌ حَرَائِرُ كَالدُّمَى   نَوَاعِمُ لا بِيضٌ قِصَارٌ وَلاَخُثْمُ(٢)

أما الأنف العربي، فهو الأنف المقوس (الأقنى/الأشم، والشمم: ارتفاع القصبة أو استواء أعلاها، وإشراف في الأرنبة)، كما قال معن بن أوس أيضاً:

وَأَقْنَى كَحَدِّ السَّيْفِ يَشْرَبُ قَبْلَهَا
وَأَشْنَبُ رَقَّاقِ الثَّنَايَا لَهُ ظَلْـمُ(٣)

---

(١) المفضليات، ص ٧١٨.

(٢) ديوان معن بن أوس المزني، تحقيق نوري حمودي القيسي (و) حاتم صالح الضامن (بغداد، مط. دار الجاحظ، ط. أولى، ١٩٧٧م)، ص ٣٨.

(٣) المصدر نفسه. الأشنب: الشَّنَب، ماء يجري على الثغر ورقة فيه. رقاق: رقيق.

وقال محمد بن عبدالله الثقفي:

دَعَتْ نِسْوَةٌ شُمٌّ العَرَانِينِ بُدَّناً   نَوَاعِمَ لاَ شُعْثاً وَلاَ غَـــبِرَاتِ(١)

ولقد بين جرير صفة الأنف غير العربي في هجائه بني تغلب، فقال:

تَلْقَى بَنِي تَغْلِبٍ زُبًّا مَنَاخِرُهُمْ   كَأَنَّ آنَافَهُمْ بِالموصِلِ الكَمَـرُ(٢)

وقال الآخر معيراً بضخامة الأنوف وأنها تشبه مقدم الكِير، والكير: زِق، أو جلد غليظ ذو حافات، وأن أرنبة الأنف ضخمة كذلك:

تَرَى آنُفاً دُغْماً قِبَـاحاً كَأَنَّهَـا   مَقَادِيـمُ أَكْيَارٍ ضِخَـامَ الأَرَانِبِ(٣)

وقال رجل يهجو قوماً مشبها أنوفهم بالصرب، وهو صمغ أحمر:

كَأَنَّ أُنْفَهُمْ فَوْقَ اللِّحَى صِـرَبُ(٤)

فالأنف الذي ينبت عليه الشعر (زبا مناخرهم)، والعريض الكبير، والأنف الأحمر، أنف غير عربي، وكذلك الأنف القصير، قال الفرزدق:

فَجِئْنَا بِهِ مِنْ أَرْضِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
نَسُوقُ قَصِيرَ الأَنْفِ حُرْداً قَوَادِمُهْ(٥)

---

(١) المبرد، الكامل، ج١، ص ٢٢٧.

(٢) ديوان جرير، ص ٢٦٢. الكَمَرَة: رأس الذكر.

(٣) اللسان: «كير». الأدغم: الأسود الأنف، وقيل مع عظمه.

(٤) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، المعاني الكبير (حيدرآباد- مط. مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م)، ج١، ص ٤٢٥.

(٥) ديوان الفرزدق، تحقيق كرم البستاني (بيروت، دار صادر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ج٢، ص ٢٠٨. حردا: معوجة.

كما قال يهجو يزيد بن المهلب:

تَبَدَّلَتِ الظِّربى القِصَارَ أنُوفُهـا

بِكُلِّ فَنيقٍ يَرْتَدي السَّيْف مُصْعَبِ(١)

القامـــة

ويتبين من أقوال العرب أن القصر ليس من صفاتهم، وإنما من صفاتهم القامة الممدودة، كما أشرنا في أول الحديث، ولذلك فهم يمتدحون الطوال كثيراً ، قال معن:

سَيَحْمِلُهَا الطِّوَالُ منَ آلِ قُرْطٍ إِذَا مَا عَرَّدَ السُّودُ القِصَــارُ(٢)

وقالت امرأة من بني زياد الحارثي:

كَمِثْلِ الفَتَى الجَعْدِ الطَّوِيلِ إذَا غَدَا

كَعَالِيَةِ الرُّمْحِ الطَّوِيلِ أوَ أطْــولُ(٣)

وقال رجل من فزارة:

إِذَا كُنْتُ فِي القَوْمِ الطِّوَالِ أَصَبْتُهُمْ

بِعَارِضَــةٍ حَتَّى يُقَالَ طَويــــلُ(٤)

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢. الظربى: الواحد ظربان: دويبة منتنة الريح. الفنيق: الفحل من الجمال. المصعب: الصعب المقادة.

(٢) ديوان معن، ص ٦٤. عرّد: فرّ، والتعريد: سرعة الفرار وقت الهزيمة.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج٧، ص ١٦٣. سَهّل همزة " أطول " ، ضرورة .

(٤) المرزوقي، الحاسة، ج١، ص ٤٣٩.

وقال الأعشى ممتدحاً طول القامة (الأمم):

فَإِنَّ مُعــَاوِيَةَ الأكْرَمِيــــنَ عِظَـامُ القِبــَابِ طِوالُ الأَمَمْ(١)

وقال عنترة مكنيا عن الطول بالسرحة:

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَــــةٍ يُحذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ(٢)

وقال عمرو بن مخلاة الكلبي مكنيا عن الطول بطول نجاد السيف:

هُوَ الأَبْيَضُ القَرْمُ الطَّوِيلُ نِجَادُهُ

مِنَ القَـوْمِ لاَ فَانٍ وَلاَ هُوَ يَافِــعُ(٣)

وقال ابن مقبل جامعاً بين تقوس الأنف والطول:

قِيَاماً بِهَا الشُّمُّ الطِّوَالُ كَأَنَّهَا أُسُودٌ بِتَرجٍ أَوْ أُسُودٌ بِعِتْــوَدَا(٤)

العنـــق

وكذلك كانوا يمدحون طول العنق، والعـرب تكني بطول العنق عن أشـراف القوم وسادتهم، قالت ليلى الأخيلية:

---

(١) ديوان الأعشى، تحقيق محمد محمد حسين (مصر، مط. النموذجية ١٩٥٠م)، ص ٤١. الأمم: القامة.

(٢) ديوان عنترة بن شداد، تحقيق عبدالمنعم عبدالرؤوف شلبي (مصر، مط. شركة فن للطباعة ب.ت)، ص ١٥٢.

(٣) هبة الله بن علي بن حمزة بن الشجري، الحماسة الشجرية، تحقيق عبدالمعين الملوحي (و) أسماء الحمصي (دمشق، مط. وزارة الثقافة، ١٩٧٠م)، ج١، ص ١٧٢.

(٤) أبو عبيد الله بن عبدالعزيز البكري، معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا (مصر مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر ط. أولى، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م)، ج٣، ص ٩٢٠.

يُشَبَّهُونَ مُلُوكاً فِي تَجِلَّتِهِـــم   وَطُـولِ أَنْضِيَةِ الأَعْنَاقِ وَاللِّمَمِ(١)

وقال القتال الكلابي:

طِوَالُ أَنْضِيَةِ الأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدُوا   رِيحَ الإِمَاءِ إِذَا رَاحَتْ بِأَزْفَـــارِ(٢)

ولكنهم أيضاً كانوا يصفون أعناق أولئك الأشراف السادة بالغلظ، كناية عن القسوة والسيادة، قال النابغة الجعدي:

وَحُمْرٍ مِنَ الطَّعْنِ غُلْبِ الرِّقَا   بِ كَالأُسْدِ يَفْتَرِسُونَ افْتِرَاسَا(٣)

وقال كعب بن زهير:

دَرَبُوا كَمَا دَرِبَتْ أُسُودُ خَفِيَّـــةٍ

غُلْبَ الرِّقَابِ مِنَ الأُسُودُ ضَوَارِي(٤)

كما كانت العرب تمدح بالهزال وتهجو بالسمن في رجالهم، قال تأبط شرا:

عَارِي الظَّنَابِيبِ مُمْتَدٌّ نَوَاشِـــرُهُ

مِدْلاَجُ أَدْهَمَ وَاهِي الْمَاءِ غَسَّاقِ(٥)

---

(١) ديوان ليلى الأخيلية، تحقيق خليل إبراهيم العطية (و) خليل العطية (بغداد، مط. دار الجمهورية، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص ١١٨.

(٢) ديوان القتال الكلابي، ص ٦٠. أزفار: جمع الزِّفر وهو الحِمْل.

(٣) ديوان النابغة الجعدي، تحقيق عبدالعزيز رباح (بيروت، المكتب الإسلامي، ط. أولى، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ص ٧٨.

(٤) شرح ديوان كعب بن زهير (مصر، مط. دار الكتب المصرية، ط. أولى، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م)، ص ٢٨.

(٥) الضبي، المفضليات، ص ١٣. الظنابيب: جمع ظُنبوب، وهو حرف عظم الساق.

وقال الآخر، جامعا بين الطول والهزال حسب المعنى في الشطر الأول من البيت السابق:

سَيَكْفيكَ مِنِ ابْنَي نِزَارٍ لِرَاغِبٍ
بَنُو الكَلْبَةِ الشُّمُّ الطِّوَالِ الأشَاجِعِ(١)

العيـــون

كما لحظ العربي أيضاً زرقة العيون في غير العرب، فقال الأعشى:

تَنَخَّلَهَا مِنْ بِكَارِ القِطَـافِ أُزَيْـرِقُ آمِنُ إِكْسَـادِهَا(٢)

وقال حسان:

وَأَعْيُنُهم مِثْلُ الزُّجَاجِ وَصِيغَةٌ تُخَالِفُ كَعْباً فِي لِحىً لَهُمْ ثُطٍّ(٣)

وقال عبدالرحمن ابنه، مقارناً بين عيون العرب الدعج، وعيون غيرهم الزرق:

هُمُ دُعْجٌ وَنَسْلُ أَبِيكَ زُرْقٌ كَأَنَّ عُيُونَهم قِطَعُ الزُّجَاجِ(٤)

وقال الشماخ في مقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ
بِكَفَّيْ سَبَنْتَى أَزْرَقِ العَيْنِ مُطْرِقِ(٥)

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص ٣١٣.

(٢) ديوان الأعشى، ص ٦٩.

(٣) ديوان حسان، ج١، ص ٣٧٤. الأثط: الذي لا لحية له إلا شعيرات.

(٤) أبو تمام، الوحشيات، ص ٢٢٧.

(٥) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق صلاح الدين الهادي (مصر، مط. دار المعارف، ١٩٧٧م)، ص ٤٤٩.

وقال سويد بن أبي كاهل، يتهم قوما من بني ضبة بزرقة العيون، أي إنهم غير عرب:

لَقَدْ زَرُقَتْ عَيْنَاكَ يَا بْنَ مُكَعْبِرٍ
كَمَا كُلُّ ضَبِّيٍّ مِنَ اللُّـــؤْمِ أَزْرَقُ(١)

ويؤكد الشطر الثاني من البيت أن الزرقة علامة من علامات اللؤم، أي عدم الأصالة، إذ الزرقة في العين هي خضرة في سوادها(٢).

ومن الغريب أن هذه الصفة تتكرر في هجاء بني ضبة، على أن خضرة العيون من صفاتهم حقيقة، فيقول الآخر:

وَضَبَّةُ الدَّغْمَاءُ فِي فَيْءِ الأَكَمْ
مُخْضَرَّةٌ أَعْيُنُهَا مِثْلَ الرَّخَـــمْ(٣)

يقول الأخطل:

وَلاَ الضِّبَابُ إِذَا اخْضَرَّتْ عُيُونُهُمُ
وَلاَ عُصَيَّـةُ إِلاَّ أَنَّهُـــمْ بَشَـــرُ(٤)

وكما تبينا قبل قليل أن «السبال الصهب» صفة للروم لعداوتهم للعرب، فإن زرقة العين صفة الأعاجم بشكل عام، كما في بيت الشماخ الذي قاله في مقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢١، ص ٤٢٠.

(٢) اللسان «رزق».

(٣) التاج «بوب».

(٤) شعر الأخطل، ج١، ص ٢٠٧. أي ليس هناك صلة نسب بينهم غير الآدمية.

وقد وصف كعب بن جعيل همدان بزرقة العيون، فقال:

وَهَمْدَانُ زُرْقٌ تَبْتَغِي مَنْ تُحَالِفُ(١)

كما وصف الأخطل بعض قبائل قيس عيلان بخضرة العيون، فقال:

إِذَا مَا الْتَقَيْنَا عِنْدَ بِشْرٍ رَأَيْتَهُـــمُ
يَغُضُّونَ دُونِي الطَّرْفَ بِالحَدَقِ الخُضْرِ(٢)

وهكذا اقترنت زرقة العيون بغير العرب، وبالجنس الأحمر من الأعاجم خاصة، كما أصبحت سبة وهجنة بينهم، تدل على اللؤم وسوء الطبع. قال ذو الرمة:

زُرْقُ العُيُونِ إِذَا جَاوَرْتَهُمْ سَرَقُــوا
مَا يَسْرِقُ العَبْدُ أَوْ نَابأْتهم كَذَبُوا(٣)

فزرقة العيون، إذن، من عيوب العيون، ولا سيما في العرب، ولذلك قال أحدهم مثبتا لنسائهم الكحل لسلامتها، أو مشيراً إلى ما أشار إليه عبدالرحمن بن حسان «دعج»:

فَمُرًّا عَلَى أَهْلِ الغَضَا إِنَّ بِالغَضَا
رَقَارِقَ لازُرْقَ العيون ولا رُمْــــدا(٤)

---

(١) نصر بن مزاحم المنقري، وقفة صفين، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ)، ص ٣٣٥.

(٢) شعر الأخطل، ج٢، ص ٤٨٥.

(٣) ديوان ذي الرمة، ج٣، ص ١٥٧١. نابأتهم: خابرتهم

(٤) المرزوقي، الحماسة، ج٣، ص ١٤١٧.

الشعـــــر

شعر الرأس

يتبين من إشاراتهم إلى غيرهم أن شعر رأس العربي ليس بجعد مفلفل، ولا بسبط ناعم، ولكنه أسود مسترسل.

شعر الجسم

والعربي ليس بكثيف شعر الجسد، وإنما هي من صفات غير العرب، ولذلك هُجيت فرازة بكثرة شعر القفا وطولها. قال الحارث بن ظالم:

فَمَا قَوْمِي بِثَعْلَبَــةَ بْنِ سَعْدٍ   وَلاَ بِفَـزَارَةَ الشُّعْــرِ الرِّقَابَـا (١)

وقال مزرد:

مَنِيعٌ بَيْنَ ثَعْلَبَــةَ بْنِ سَعْــدٍ   وَبَيْنَ فَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَــابِ(٢)

الشـوارب

وشوارب العرب ليست حمراء، وإنما هي صفة في الروم خاصة، ولذلك قال زيد الخيل مستعيرا صفة صهب السبال لهم أنفسهم، مع أنهم عرب، لبيان شدة عدواتهم لأولئك مثل عداوة الروم للعرب:

وَأَسْلَمَ عِرْسَــهُ لَمَّا التَقَيْنَـا   وَأَيْقَنَ أَنَّنَا صُهْبُ السِّبَـالِ(٣)

---

(١) أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (القاهرة، مط. السعادة، ط٣، ب.ت) ج٤، ص ٣٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج١، ص ٨٥١.

فهو يقول: إن الرجل أسلم طعنته دونما قتال عندما أيقن أننا شديدو العداوة له، وعبر عن شدة العداوة بصهبة السبال، فكأنهم من الروم في عداوتهم للعرب.

وقال خالد بن علقمة بن علاثة معيراً بني حيان تزويجهم بناتهم، ممن له شوارب طويلة (سبالا مشعرا) أي كثيرة الشعر:

فَلاَ تُوعِدُوا أَوْلاَدَ حَيَّان بَعْدَمَا
رَضِيتُمْ وَزَوَّجْتُم سِبَالاً مُشْعَّرا(١)

وهذا ما أشار إليه ذو الرمة عندما هجا بني القيس، مميزا خاصة شواربهم عن شوارب العرب السود، فقال:

تَسَمَّى امْرُؤُ القَيْسِ بْنَ سَعْدٍ إِذَا اعْتَزَتْ
وَتَأْبَى السِّبَالُ الصُّهْبُ وَالآنُفُ الحُمْرُ(٢)

ومن الملاحظ أن صهوبة السبال من الصفات التي ألصقها العرب بالروم خاصة، وهم من أعداء العرب، حتى أصبحت هذه الصفة خاصة بهم لشدة عداوتهم للعرب وذلك كناية عن التحقير والهجنة أيضاً، قال ابن الرقيات:

إِنْ تَرَيْنِي تَغَيَّرَ اللَّونُ مِنِّي
وَعَلاَ الشَّيْبُ مَفْرِقِي وَقَذَالِي

(١) أبو تمام حبيب بن أوس، كتاب الوحشيات، تحقيق عبدالعزيز الميمني (مصر، مط. دار المعارف، ط٢، ١٩٧٠م)، ص ٨١.

(٢) ديوان ذي الرمة، ج١، ص ٥٩٢.

فَظِلاَلُ السُّيوفِ شَيَّبْنَ رَأْسِـــــــي
وَاعْتِنَاقِي فِي الحَرْبِ صُهْبَ السِّبَالِ(١)

وقال الآخر:

جاؤوا يَجُرُّونَ الحَدِيدَ جَــــرّاً صُهْبَ السِّبَالِ يَبْتَغُونَ الشَّـــرَّا(٢)

وقد بين ذلك الأخطل في حديثه عن الإبل التي تتجنب منطقة الأعداء مخافة الأوتار التي لهم، كأنها ترى في عداوتهم عداوة الروم (الصقالبة) للعرب:

عَوادلَ عُوجًا عَنْ أُنَاس كَأَنَّمَــا
تَرَى بهِــمْ جَمْعَ الصَّقَالبَــةِ الصُّهْبِ(٣)

بل إن أحد الرجاز أعطانا صورة دقيقة لشوارب الروم حين شبّه نبات «الصِّلِّيَان»، وهو نبت طويل أصهب بسبال الروم، فقال:

ظَلَّتْ تَلُــوذُ أمسِ بِالصَّــرِيمِ وَصِلِّيَــانٍ كَسِبَالِ الــــرُّومِ(٤)

---

(١) ديوان عبدالله بن قيس الرقيات، ص ١١٣.

(٢) اللسان، «صهب»، «حمض».

(٣) شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق: فخر الدين قباوة (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج١، ص ٤٠.

(٤) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، مجالس ثعلب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (مصر، مط. دار المعارف، ط٢، ١٩٦٠م)، ص ٤٧٠ والصليان: نبت له سنمة عظيمة كأنها رأس القصبة، إذا خرجت أذنابها تجذ بها الإبل.

كثافة شعر الحواجب

وهي من العلامات التي جعلها العرب من مميزات الأعاجم، يقول الأخطل في النابغة الجعدي، ناسبا إياه إلى أهل (أزقباذ):

أَزَبُّ الْحَاجِبَيْنِ بِعَــوْفِ سَوْءٍ   مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ بِأَزْقُبَـانِ(١)

وأراد أزقباذ، فلم يَستقم له البيت، فأبدل الذال نوناً لأن القصيدة نونية.

وهذا جرير يهجو البعيث بكثرة شعر الحاجبين، فيقول:

نُبِّئْتُ أَنَّ مُجَاشِعــاً قَدْ أَنْكَرُوا   شَعَرا تَرَادَفَ حَاجِبَيْهِ تُؤَامـا(٢)

أي إنه أزب الحاجبين كثير شعرهما.

أثر البيئـة

ومع كل ذلك، فقد كانت بعض أقاليم الجزيرة العربية ذات تأثير على ألوان سكانها. فعمان: أرض وبيئة وأهلها مصفرُّون مطحولون، وكذلك منطقة البحرين: فمن يسكن البحرين يعظم طحاله ويغبط بما في بطنه وهو جائع. ولقد أصبح هذا الكلام شعراً، فقيل:

مَنْ يَسْكُنِ البَحْرَيْنِ يَعْظُمْ طِحَالُهُ
وَيُغْبَطْ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهْوَ جَائِـعُ(٣)

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج١، «أزقبان»، وانظر شعر الأخطل، ج٢، ص ٦٦٤، عوف: حال.

(٢) ديوان جرير، ص ٥٤٢.

(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج٢، ص ٧٥٥، وانظر اللسان، «بطن».

وجاء اللون الأصفر في قول أحدهم، ناسباً الصفرة إلى البحرين كذلك:

يَا رِيحَ بَيْنُونَةَ لا تَذْمِينَا ... جِئْتِ بِأَلْوانِ الْمُصْفَرِّينَا

وبينونة موقع على مسافة ٦٠ فرسخاً من البحرين، وهو وبيء. فيقول: أيتها الريح لا تنزعي ذماءنا، والذمى: الرائحة المنكرة(١).

وأضاف الأخطل إلى خيبر تهامة، وأنها تسبب تقرح الجسد (موم). فتهامة توصف بكثرة الحر وتغير الهواء، وهو ما يؤثر على الصحة العامة حتى يصيب التفكير منه شيء، فيؤثر على القدرة على الكلام:

وكَأَنَّ شَارِبَهَا أَصَابَ لِسَانَهُ ... مِنْ دَاءِ خَيْبَرِ أَوْ تِهَامَةَ مُومُ(٢)

ويقول الجاحظ مبيناً أثر البيئة على ألوان العرب:

«إن في العرب قبائل سودا كبني سليم بن منصور، وكل من نزل الحرة من غير بني سليم كلهم سود. وإنهم ليتخذون المماليك للرعي والسقاء والمهنة والخدمة من الأشبانيين، ومن الروم نساءهم، فما يتوالدون ثلاثة أبطن حتى تنقلهم الحرة إلى ألوان بني سليم»(٣).

وقد جمع القائل صورة الأعاجم في قوله:

إذَا مَا بَدا عَمْرُوٌ بَدَتْ مِنْهُ صُورَةٌ

تَدُلُّ عَلَى مَكْنُونِهِ حِينَ يُقْبِلُ

---

(١) التاج، «ذمي».

(٢) شعر الأخطل، ج١، ص ٣٨٤.

(٣) الجاحظ، رسائل، فخر السودان على البيضان، ج١، ص ٢١٩.

بَيَاضُ خُرَاسَانٍ ولُكْنَــةُ فَــارِسٍ
وَجُثَّــةُ رُومِيٍّ وَشَعْــرٌ مُفَلْفَــلُ(١)

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٧، ص ١٦٣.

الفصل الثالث

المهن

الفروسية

إذا افتخر العربي دائما، فهو يفتخر بكونه فارساً جوادا مدافعا عن كيان القبيلة، حاملا سلاحه في يمينه، وممسكا بعنان فرسه أو بخطام ناقته. وإنه ليعد الفروسية تجارته الرابحة، يقول أحدهم (؟):

وَلَكِنْ إذَا لَمْ يَتْجِرِ النَّاسَ بِالقَنَا
فَهُمْ بِالقَنَا وَالمَشْرَفِيِّ تِجَارُ(٢)

أما المهن غير الحربية، فهي مرتبطة بغيره من الجماعات، وقد عبر جرير عن تلك المهن، فقال:

هُوَ القَيْنُ وَابْنُ القَيْنِ لاَقَيْنَ مِثْلُهُ
لِفَطْحِ المَسَاحِي أَوْ لِجَدْلِ الأَدَاهِمِ(٣)

---

(١) محمد مصطفى هدارة، الأدب العربي في العصر الجاهلي (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م) ص ص ٥٩-٩٢.

صلاح الفوال، البناء الاجتماعي للمجتمعات البدوية (القاهرة، مط. الاستقلال، ١٩٨٣م) ص ٣٣٦.

(٢) الضبي، المفضليات، ص ٦٠٣.

(٣) ديوان جرير، ص ٥٥٨. الأداهم: جمع أدهم، وهو القيد. فطح: فطحت الحديدة، إذ عرّضتها وسويتها.

فالأعمال اليدوية كانت مما يأنف منها العربي، حتى إن امرأة الهذلول بن كعب العنبري عيرته الطحن بالرحى، فقال:

تَقُولُ وَدَقَّتْ صَدْرَهَا بِيَمِينِهَا
أَبَعْلِيَ هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ(١)

فالعربي، إذن، كما قال عبيد بن الأبرص:

إذْهَبْ إِلَيْكَ فَإِنِّي مِنْ بَنِي أَسَدٍ
أَهْلِ الْقِبَابِ وَأَهْلِ الْجُرْدِ وَالنَّادِي(٢)

وكما قال لبيد:

لاَ تُنْشَدُ الحُمْرُ الأَوَالِفُ فِيهِمُ إِذْ لاَ تَرُوحُ بِالعَشِيِّ بِهَامُ
إلاَّ فِلاَءَ الخَيْلِ مِنْهَا مُرْسَلٌ وَمُرَبَّطَاتٌ بِالفِنَاءِ صِيَامُ(٣)

وكما قال القطامي:

وَمَنْ رَبَطَ الجِحَاشَ فَإِنَّ فِينَا قَناً سُلُباً وَأَفْرَاساً حِسَانَا(٤)

ولذلك نفى الأعشى أن تكون إياد من العرب، لأنهم يعملون بالزراعة، فقال:

---

(١) المرزوقي، الحماسة، ج٢، ص ٦٩٦.

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار (مصر، مط. مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط أولى، ١٣٧٧هـ/١٩٥٦م) ص ٤٩.

(٣) ديوان لبيد، ص ٢٨٨-٢٨٩، الحمر الأوالف: الحمر الأهلية. البهام: أولاد الغنم والضأن والمعز. فلاء الخيل: امتلاؤها، أي تربيتها. صيام: قيام.

(٤) ديوان القطامي، ص ٧٦.

لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إِيـــادُ دَارَهـا
تكْرِيتَ تَنْظُرُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدا (١)

وهذا الممـزق ينفي عن لكيـز (عبدالقيس) قومه أن تأتي المواسم بالشاء والسمن للبيع، أي إنها ليست من أصحاب السلاح والخيل:

وَإِنَّ لُكَيزاً لَمْ تَكُنْ رَبَّ عُكَّةٍ لَدُنْ صَرَّحَتْ حُجَّاجُهُمْ فَتَفَرَّقُوا (٢)

إذن، فمفخرة العرب هي بكونهم، كما قال الكميت بن معروف الأسدي (ت ٩٦هـ):

خُلِقْنَا تِجَاراً بِالطِّعَانِ وَلَمْ نَكُنْ
تِجَـارَ مُلاءٍ نَشْتَـرِي وَنُبَايِعُ (٣)

---

(١) ديوان الأعشى، ص ٢٣١. ذفيف: مسرع.
(١) المفضليات، ص ٨٩١. العُكّة: نِحْيٌ من سَمْن.
(٢) الضامن ، شعراء مقلون، ص ١٧٣.

الباب الثاني

صلات العرب بغيرهم

الفصـــل الأول

الأحبـــاش

أما أهم الأقوام التي كانت تخالط العرب، فهم الأحباش. وقد كان هناك اتصال مباشر بين الحبشة والعرب للجوار، إضافة إلى الحملات العسكرية التي كانت الحبشة تشنها على جنوبي الجزيرة العربي، والتي تتوجت بحملة أبرهة على مكة المكرمة.

المظاهر العامة

الرجـــال

فمن صور الأحباش التي لفتت نظر العربي، صورة ذلك الحبشي المستلقي على ظهره، ولعله كناية عن الخمول والكسل، وهم لذلك يشبهونه بزق الخمر لسواده، مع تضمين معنى القِصَر فيه أيضاً، يقول الأعشى:

تَحْسِبُ الزِّقَّ لَدَيْهَـا مُسْنَـداً   حَبَشِيّـاً نَامَ عَمْداً فَانْبَطَـحْ(١)

ويقول لبيد في الصورة نفسها:

بِمُجْتَزَفٍ جَـوْنٍ كَأَنَّ خَفَـاءَهُ

قَرَا حَبَشِيٍّ فِي السَّرَوْمَطِ مُحْقَبِ(٢)

---

(١) ديوان الأعشى، ص ٢٤٣.

(٢) شرح ديوان لبيد، تحقيق إحسان عباس (الكويت، مط. الحكومة، ١٩٦٢م)، ص ٦.مجتزف: أي بمشتر جزافا. جون: أسود. خفاؤه: الكساء الذي يلف فيه. قرا: ظهر. السرومط: كساء، أو جلد ظبية لف فيه زق خمر. محقب: مردوف، مشدود مكان الحقب، والحقب سعة من وراء الرحل.

وهي الصورة ذاتها التي رسمها أحدهم واصفاً الحبشي متجرداً عن ثيابه الخلقان (المعاوز):

كَأَنَّهُ حَبَشِيٌّ بَادِنٌ سُلِبَتْ
مِنْهُ المَعَاوِزُ عَنْ صَدْرٍ وَعَنْ كَفَلِ(١)

وتتكرر الصورة عند الشعراء بعد ذلك، فيقول الأخطل مشبهاً الزقاق المملوءة الشائلة القوائم (شاصيات)، بسودان بدت سيقانهم:

أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَأَنَّهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرْبَلُوا(٢)

ويقول القطامي:

فَحَطُّوا إِلَيْنَا شَاصِيَاتٍ كَأَنَّهَا
مِنَ الزِّنْجِ مَسْلُوبُ القَمِيصِ وَرَاعِفُ(٣)

ونجد ابن الدمينة يصف أكمة السِّيدان بما وصفه به لبيد، فيقول:

كَأَنَّ قَرَى السِّيدَانِ فِي الآلِ غُدْوَةً
قَرَى حَبَشِيٌّ فِي رِكَابَيْنِ وَاقِفُ(٤)

الانتظام العسكري

ومع ذلك فمن الصور التي تعكس مكانة الأحباش قول ابن حجر ، وهو يذكرنا بالاحتلال الحبشي لليمن وسيطرتهم هناك:

---

(١) الضبي، المفضليات، ص ٢٥٣. المعاوز: الخلقان من الثباب.
(٢) ديوان الأخطل، ج١، ص ١٦.
(٣) ابن الشجري، الحماسة، الشجرية، ج٢، ص ٨٣٧.
(٤) ديوان ابن الدمينة، تحقيق أحمد راتب النفاخ (مصر، مط. المدني، ١٣٧٩هـ)، ص ٢٠٩.

وَلَوْ كُنْتُ فِي رَيْمَانَ تَحْرُسُ بَابَهُ   أَرَاجِيلُ أُحبوشٌ وَأَغضَفُ آلِفُ(١)

ومثل تلك الصورة، الصورة التي نقلها لبيد ، مشبهاً انكشاف البرق عن سواد الغيم بحبشان في أيديهم حراب، يقول:

يُضِيءُ رَبَابُـهُ فِي الـمُزْنِ حُبْشاً   قِيَاماً بِالحِـرَابِ وَبِـــالإِلاَلِ(٢)

ومثله قول عدي بن زيد:

وَمَجُـودٍ زَعَـــلٍ ظِلْمَانُـــهُ   كَرِجَالِ الحَبْشِ تَرْدِي بِالعَمَدْ(٣)

وقال الهذلي مثلما قال، فوصف استعدادهم الحربي:

وَسُودٌ جِعَادٌ غِلاَظُ الرِّقَـــا   بِ مِثْلُهُمُ يَرْهَبُ الرَّاهِـــبُ

أَشَـابَ الرُّؤُوسَ تَقَدِّيهِمُ   فَكُلُّهُـمُ رَامِـحٌ نَاشِـــبُ(٤)

وقد لاحظ كعب بن زهير ملاحظة قيمة في علاقة الحكام الأحباش برعاياهم في قوله مشبها الظليم والنعامة، وقد ضما جناحيهما بحبشيين مكتوفين:

---

(١) ديوان أوس بن حجر، ص ٧٤. أراجيل: الجمع من الرجال. الأغضف: الكلب المسترخي الأذنين.

(٢) شرح ديوان لبيد، ص ٨٩. الإلال: الحراب، واحدها: آلة وهي الحربة.

(٣) ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد جبار المعيبد (بغداد، مط. الجمهورية، ١٩٦٥م)، ص ٤٣. الزعل: الشديد. الظلمان: جمع ظليم، وهو ذكر النعام. تردي: تعدو فترمي بالعمد.

(٤) أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (مصر، مط. المدني، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م)، ج١، ص.ص ٣٩٠-٣٩١. اللسان، «جعد». التقدي : مشي لي فيه سرعة .

كَالحَبَشِيَّيْنِ خَافَـــا مِنْ مَلِيكِهِمَا
بَعَضْ العَذَابِ فَجَالاً بَعْدَ مَا كُتِفَا(١)

وقد كان الملوك الأحباش يهدون فيما يهدون عبيداً سوداً بأسلحتهم، كما قال لبيد:

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى خُمَيِّرَ بَيْتَــــهُ   مُتَنَكِّراً فِي مُلْكِه كَالأغْلَـــــبِ
فَأجَازَنِي مِنْهُ بِطِرْسٍ نَاطِـــــقٍ   وَبِكُلِّ أطْلَسَ جَوْبُهُ فِي المَنْكِبِ

يعني بكل حبشي ترسه (جوبه) في منكبيه، والأطلس من الألوان المرادفة للسواد(٢)، قالت عفيرة بنت طرامة الكلبية تهجو قيساً الذين كانوا سود البشرة، مثلما مدح سابقا الحصين بن الحمام محارب وهم من قيس في قوله خضر محارب:

تَرَكْنَ الطُّلْسَ مِنْ فَتَيَاتِ قَيْسٍ   أيَامَى بَعْدَ تَيْسِيرِ الخِضَـــابِ(٣)

وقد كشف أبودؤاد الإيادي عن الحالة النفسية للحبشي عندما يمس فيثور ويغضب، فشبه حصانه بحبشي اندفع هائجاً فتمطى ليرمي حربة، فهو أشد لتمطيه وغضبه معاً:

وَتَمَطَّى بَوْعَـــــاً كَمَا يَتَمَطَّى   حَبَشِيٌّ بِحَرْبَةٍ مَظْلُـــــــومُ(٤)

---

(١) ديوان كعب بن زهير، ص ٨٥.

(٢) شرح ديوان لبيد، ص ١٥٥. الأغلب: الغليظ العنق. الطرس: كتاب كتبه. الجوب: الترس.

(٣) أبو تمام، الوحشيات، ص ٧.

(٤) غوستاف فون غرونباوم، دراسات في الأدب العربي، ترجمة إحسان عباس وآخرين (بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٥٩م)، ص ٢٤٤.

كما أشار أحدهم إلى تصبب العرق من الأحباش، فذكر حبشيين وهما في حالة استعداد للقتال، فقال:

وَحَبَشِــــيَّيْنِ إذَا تَحَلَّبَــــا قَالاَ نَعَمْ قَالا نَعَمْ وَصَوَّبَـــا (١)

تجمع الأحباش

ولكن أهم مظهر من مظاهر الأحباش هو اختلاف أصواتهم وعدم وضوحها، كما قال الأعشى:

وَالجِنُّ تَعــــزِفُ حَوْلَهَـــا كَالحُبْشِ فِي مِحْرَابِـــهَا (٢)

وقول لبيد:

ورَقـــاقٍ عُصــــبٍ ظُلْمَانُـــهُ كَحَزِيقِ الحَبَشِيِّينَ الزُّجَــلْ (٣)

وقول مالك المزموم من الخوارج، وقد جمع بين عدم الإفصاح والغضب ومستخدمات صفة الطمطم في معنى عدم الإفصاح:

وَمُنِينَا بِطِمْطِــمٍ حَبَشِــيٍّ حَالِك الوَجْنَتَيْنِ مِنْ آلَ حَامِ
لاَ يُبَــالِي إذَا تَضَلَّعَ خَمْــراً أَبِحِلٍّ رَمَاكَ أَوْ بِحَــرَامِ (٤)

وقال عكرمة بن عامر واصفاً جنود الحبشة المغيرة على مكة بالطماطم:

فَضَمَّهَا إِلَى طَمَاطِمٍ سُـــودْ قَدْ أَجْمَعُوا أَلاَّ يَكُونَ مَعْبُودْ (٥)

---

(١) التاج، «حلب».
(٢) ديوان الأعشى، ص ٢٥١.
(٣) شرح ديوان لبيد، ص ١٧٤. الرقاق: الصحراء المتسعة اللينة. الحزيق: الجماعة من الناس والطير والنحل وغيرها. الزجل: جمع زُجْلَة: وهي الجماعة من الناس.
(٤) شعر الخوارج، ص ١٩٤. تضلع: انتفخت أضلاعه من كثرة الشرب.
(٥) أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (مصر، مط. دار الكتاب العربي، ط٣، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) م١٠، ج٢٠، ص ١٩١.

التشبيه بالنعام

ولكنهم كانوا كثيرا ما يشبهون النعام بالأحباش كقول لبيد السابق، وقول عنترة مشبهاً جماعات النعام مقبلة على ظليمها بجماعات الإبل اليمانية (حزق يمانية) مقبلة على راع حبشي (أعجم طمطم):

تَأْوِي لَهُ قُلُصُ النَّعَـــامِ كَمَا أَوَتْ
حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لأَعْجَمَ طِمْطِـــمِ(١)

كما شبه ذكر النعام وريشه على ظهره، أما ساقاه فعاريتان من الريش، بالحبشي الذي لبس قطيفة مقلوبة وقد عريت ساقاه من اللباس فقال:

صَعْلٍ يَعُودُ بِذِي العُشَيْرَةِ بَيْضَـهُ
كَالعَبْدِ ذِي الفَرْوِ الطَّوِيلِ الأَصْلَمِ(٢)

وقال المرار مشبها النعام وقد انحص ريش جناحه كأنه يميل في شق، برجل حبشي شسع نعله:

حَرِقُ الجَنَاحِ كَأَنَّهُ مُتَمَايِــلٌ   مِنْ آلِ أَحْبَشَ شَاسِعُ النَّعْــلِ(٣)

وقال النابغة الجعدي:

---

(١) ديوان عنترة، ص ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٧. الصعل: الصغير الرأس الدقيق العنف. ذو العشيرة: موضع. الأصلم: المقطوع الأذنين، أو الذي لا أذن له.

(٣) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج١، ص ٣٢٨. حرق الجناح: انحص ريش جناحه. شاسع النعل: شسع نعله، أي انقطع شسع نعله، والشسع: أحد سيور النعل.

وَإِذَا نَحْنُ بِإِجْـلٍ نَافِـــرٍ   وَنَعـــامٍ خِيطَةٌ مِثْلُ الحَبَشْ(١)

وقـال النُّظَّار بن هاشم معطيـا صـورة للمظهـر الخـارجي الداخلي للظليم بتشبيهه بالحبشي:

كَأَنَّمَا هُوَ حَبَشِيٌّ مَاثِـــــلٌ

عَاوٍ عَلَيْـــهِ مِنْ تِلَادٍ هِدْمَـــانْ

أَبْيَض مَبْطُونٌ بِهِ وَظَاهِــــرٌ

جَـوْنٌ وَلَمْ يُسْبَغْ عَلَيْهِ الثَّوْبَـــانْ(٢)

ونجد ذا الرمة يؤكد معنى السواد بتشبيه الظليم بالحبشي، وبالسندي في آن واحد، فيقول:

كَأَنَّهُ حَبَشِيٌّ يَبْتَغِـــي أَثَـــراً

أَوْ مِنْ مَعَاشِرِ فِي آذَانِهَـــا الخُرَبُ(٣)

وهي صورة محوّرة عن صورة الأفوة الأودي الذي جعل المجموعة كلها من الأحباش:

كالأسود الحبشي الحَمْسِ يتْبَعـــــهُ

سود طماطم في آذانها النُّطَــفُ(٤)

---

(١) ديوان النابغة الجعـدي، ص ٢٤٥ . الإجل: القطيع من بقر الوحش والظبـاء. الخيط: جماعة النعام

(٢) الأخفش، كتاب الاختيارين، ص ٣٠٩.

(٣) ديوان ذي الرمة، ج١، ص ١١٨ . الخرب: جمع خُرْبَة، وهي الثقب.

(٤) اللسان، «طمطم».

وهم كثيراً ما يلاحظون الرعيان السود وقد تلفعوا بأكسيتهم فيشبهون الظلمان بهم، كما هو واضح من الأقوال السابقة، وكذلك من قول العجاج وهو يصف الظليم يعدو واسع الخطا مسرعاً في مشيه (سفنجا)، قد اصطكت رجلاه (أصك)، يتهدج وهو يسير، قد لبس السبيج: وهو بردة سوداء:

فَاسْتَبْدَلَتْ رُسُومُهُ سَفَنَّجَا   أَصَكَّ نَغْضاً لاَيَني مُسْتَهدِجَا

كَالحَبَشِيِّ التَفَّ أو تَسَبَّجَا (١)

ويقول آخر في تشبيه صغار النعام بالأحباش عليها قمصانها:

يَشْرَبْنَ ماءً طيباً قَليصُهُ   كَالحَبَشِيِّ فَوْقَهُ قَمِيصُهُ(٢)

المظاهر الجسدية

قصر القامة

ومن الملاحظ أن العرب كانوا يصفون السود الذين اتصلوا بهم بقصر القامة مثل قول عامر بن الطفيل:

وأَنْتَ لِسَوداءِ المَعَاصِمِ جَعْدَةٍ

وَأَقعَسَ مَنْ نَسْلِ الإمَاءِ العَوَارِكِ(٣)

وقال زهير:

---

(١) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج١، ص ٣٢٩.

(٢) اللسان، «قلص». قلص الماء فهو قليص: ارتفع في البئر.

(٣) ديوان عامر بن الطفيل رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق شارلس لايل (ليدن، مط. إ-ج- بريل ١٩١٣م)، ص ١٤٩. الأقعس: الذي في ظهره انحناء. العوارك: الطوامث.

أَنَا رِيَاحٌ وَابْنُ خَالِـي جَوْشَـــنُ
وَلَمْ أُحْتَمَلْ فِي حِجْرِ سَوْدَاءَ ضَمْعَجِ(١)

وقال سلامة بن جندل:

لَيْسَتْ مِنْ الزُّلِّ أَرْدَافاً إِذَا انْصَرَفَتْ
وَلاَ القِصَارِ وَلاَ السُّودِ العَنَاكِيبِ(٢)

وقال جرير:

تَبْدُو فَتُبْدِي جَمَــالاً زَانَه خَفَـرُ
إِذَا تَزَأْزَأَتِ الســُّودُ العَنَاكِيـبُ(٣)

وربما وجدنا صفة القصر واضحة في هذه الصورة المتحركة التي يشبه فيها الفصلان الصغار، وهي تتطاول لاعتلاء أمها (يقتاعها)، بالحبشي الذي يصعد السلالم، فيبدو أنه قصير، وهو يرتقيها. يقول ذلك الشاعر:

يُقْتَاعُهَا كُلُّ فَصِيلٍ مُكْــرَمِ كَالْحَبَشِيِّ يَرْتَقِي فِي السُّلَّمِ(٤)

---

(١) أبو العباس ثعلب، شرح شعر زهير، تحقيق فخر الدين قباوة (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط أولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ٢٣٨. ضمعج: غليظة.

(٢) ديوان سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدين قباوة (حلب، المكتبة العربية، ط. أولى، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م)، ص ٢٢٥. الزل: جمع زلاء، وهي الرسحاء التي لا لحم على مؤخرها. العناكيب: جمع عنكب، أي امرأة قصيرة ضعيفة.

(٣) ديوان جرير، ص ٣٣. التزأزأ: شدة العدو وسرعته.

(٤) اللسان، «قوع».

شكل الشفة

كما أن من الصفات الجسمية التي ذكرها العرب في السود ممن خالطوهم ضخامة الشفاه، كما قال الفرزدق:

فَلَوْ كُنتُ ضَبِّيّاً عَرَفْتَ قَرَابَتي
وَلَكِنَّ زُنْجِيّاً عَظِيمَ المَشَافِرِ(١)

ويقول عبدالله بن الزبير الأسدي:

وَأَنْتُمْ بَنِي حَامِ بْنِ نُوحٍ أَرَى لَكُمْ
شِفَاهاً كَأَذْنَابِ المَشَاجِرِ وُرَّمَا(٢)

وقد أضاف هذا الشاعر إلى صفة فخامة الشفاة سماكة الجلد، فقال:

رَأَى جِلْدَةً مِنْ آلِ حَامٍ مَتِينَةً
وَرَأْساً كَأَمْثَالِ الجَرِيبِ مُوَرَّمَا(٣)

ولكن على الرغم من تأكيد العرب سواد الأحباش فقد قيل للحبشي: أبو البيضاء، على عادة العرب في إطلاق صفات الأضداد(٤).

لقد اختصر عدي بن الرقاع حالة الحبشي، حجما، ومهنة، وسلوكا، فقال:

---

(١) التاج، «شفر».

(٢) شعر عبدالله بن الزبير الأسدي، تحقيق يحيى الجبوري (بغداد، دار الحرية، ١٣٩٤هـ/١٩٧٢م)، ص ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (و) عبدالمجيد قطامش (مصر، مط. الدار القومية، ط. أولى، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ج١، ص ٨٨. وانظر اللسان، «عور».

طَرِفَاتٍ إِذَا اسْتَبَحْنَ مَكَاناً صَاحَ فِيهِنَّ يَافِعٌ كَالغُـرَابِ
حَبَشِيٌّ يُلَاعِبُ السَّقْبَ مِنْهَا فَرَحاً أَنْ يَعَضَّهُ بِالثِّيَـــابِ(١)

وفي وصف شامل للحبشي، يقول الراعي:

وَلَقَدْ تَرَى اَلحَبَشِيَّ حَوْلَ بُيُوتِنـا
جذلان إذ ما نـــال يومـا مَأْكَلاً
جعـدا أصك كأن فروة رأســه
بذرت فأنت جانبـــــاه فلفـــلا(٢)

النســــاء

ومع ذكرهم الكثير للرجال فقليلا ما ذكروا النساء السود إلا في حالة المقابلة بينهن وبين العربيات كما في الأبيات السابقة، وقلما وجدنا لهن ذكرا في معرض الهجاء مثل قول يزيد بن المفرغ الحميري:

جـــاءَتْ بِـه حَبَشِيَّـــةٌ سَكَّاءُ تَحْسَبُهَــــا نَعَامَـهْ
مِنْ نِسْـوَةٍ سُــودُ الوُجُـو هِ تَرَى عَلَيْهِنَّ الدَّمَامَـــهْ(٣)

ومثل قول الأخر يصف زنجية كأن إسكتيها قد اثفرتا بريش حمامة:

---

(١) ديوان شعره، ص ٥٨.

(٢) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل، البداية والنهاية (القاهرة، دار الغد العربي، ط ٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج ١، ص ٣٦٨.
وانظر شعر الراعي النميري، تحقيق نوري حمودي القبس وهلال ناجي (بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) شعر يزيد بن المفرغ الحميري، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ص ٢١٢. السكاء: الصغيرة الأذن، تكاد لا تُرى.

زِنْجِيَّةٌ كَأَنَّهَا نَعَامَةْ   مُثْفَرَةٌ بِرِيشَتَيْ حَمَامَةْ(١)

أما قول مسكين الدرامي:

لا تَلُمْهَا إنَّهَا زِنْجِيَّةٌ   مِلْحُهَا مَوْضُوعَةٌ فَوْقَ الرُّكَبْ

فهي صورة نادرة، إذا كان يقصد ما قاله قوم من أنه «أراد الشحم، لأن سمن الزنج في أفخاذها، وأوراكها». أما إذا أراد ما قاله آخرون: «إنما هو من قولهم: ملحه فوق ركبتيه، إذا وصف بالغدر وقلة الحياء»(٢)، فهي صورة متسقة مع صورة المرأة السوداء المألوفة في الجاهلية مثلما هو على حد تعبير سلامة بن جندل السابق: «ليست من الزل...»، وواضح أن هذا هو ما ذهب إليه، لأن مسكينا يقول هذا الشعر في امرأته، والرواية الصحيحة له هي:

لا تلمها إنها من نسوة   ....

فهذه المرأة صفتها صفة المرأة السوداء، وهو يقصد بـ «ملحها فوق الركب» أن الملح إذا كان على الركبة فأدنى شيء يبدده ويفرقه. وإذا كان المقصود بالملح الشحم، فهو لا يخرج أيضاً عن معنى التبديد والتفريق(٣).

وإذا قبلنا الأبيات المنسوبة لعنترة في أمه، نجده يقول:

وَأنا ابْنُ سَوْدَاءِ الجَبِينِ كَأنَّهَا   ضَبُعٌ تَرَعْرَعَ فِي رُسُومِ المَنْزِلِ

السَّاقُ مِنْهَا مِثْلُ سَاقِ نَعَامَةٍ   وَالشَّعْرُ مِنْهَا مِثْلُ حَبِّ الفُلْفُلِ(٤)

---

(١) التاج، «ثفر». الثفر: السير الذي في مؤخر السرج.

(٢) أبو العلاء المعري، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق عائشة عبدالرحمن، (مصر، مط. دار المعارف، ١٩٧٥م)، ص ٤٠٩.

(٣) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص ٢٦٩.

(٤) ديوان عنترة، ص ص ٣٨٧-٣٨٨.

ويمكن توضيح نقطة مهمة هنا، ألا وهي أن الصورة العامة التي قدمها الشعر العربي هي للأحباش. وقد رأينا إشارات متأخرة إلى غلظ الشفاه وسعة المناخر، مما يحمل على الظن أن هذا الجنس جاء مع حركة الفتوحات الإسلامية.

النوبيــون

ومن الأقوام الذين وصفهم العرب كذلك، النوبيون، فهذا حسان يقول:

وَأُمُّكَ سَوْدَاءُ نُوبِيَّــــةٌ كَأَنَّ أَنَامِلَــــهَا الحُنْظَبُ(١)

ويشبه كعب النعامة وذكرها بنوبية وزوجها، فيقول:

وكَأَنَّهَا نُوبِيَّــــةٌ وكَأَنَّــــهُ زَوْجٌ لَهَا مِنْ قَوْمِهَا مَشْعُوفُ(٢)

وقد بين ذو الرمة حالة نفسية حزينة لمجموعة من خيار النوبة (صيابة)، فشبههم بالغربان وهي تنعق بصوتها المؤثر (مستشحجات)، والنوبة عندهم توصف بالجزع(٣):

وَمُسْتَشْحِجَاتٍ بِالفِرَاقِ كَأَنَّهَا
مَثَاكِيلُ مِنْ صُيَّابَةِ النُّــوبِ نُـوَّحُ(٤)

ويبدو أن النوبيين كانوا معروفين في المدينة المنورة، فهذا الفرزق يقول:

---

(١) أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة، تحقيق محي الدين عبدالحميد (مصر، مط. دار الجيل، ط٤، ١٩٧٢م)، ج١، ص ٣٠٠. الحنظب: الخنفس.

(٢) ديوان كعب بن زهير، ص ١٢٢. المشعوف: الإلف الذي لا يُفارِق.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص ٤٣٣.

(٤) ديوان ذي الرمة، ج٢، ص ١٢٠٧. مستشحجات: من شحيج الغراب، أي صوته. مثاكيل: أثكلت المرأة ولدها، أي فقدته وبكت عليه. صيابة: من خالص النوب وصميمهم.

مِصَكَّانِ قَدْ كَادَتْ تَشِيبُ لِحَاهُمَا
وَآخَرُ مِنْ نُوبِ الـمَدِينَةِ أَسْـــوَدَ(١)

وقد جمع ذو الرمة تلك الجماعات السوداء ممن عرفهم العرب قديما في قوله:

قَفْراً كَأَنَّ أَرَاعِيلَ النَّعَامِ بِهَـــا
قَبَائِلُ الزَّنْجِ وَالحُبْشَانِ وَالنـُّـوبُ(٢)

ويبدو أن اتصال العرب بأفريقية كان مقصوراً على الأطراف المطلة على البحر الأحمر وبحر العرب، ولم يكن يشمل ذلك الأطراف النائية والموغلة في داخل القارة الأفريقية. يقول الجاحظ: «وأنتم لم تروا الزنج الذين هم الزنج قط، وإنما رأيتم السبي يجيء من سواحل قنبلة وغياضها وأوديتها»(٣).

(١) ديوان الفرزدق، ج١، ص ١٦٢.

(٢) ديوان ذي الرمة، ج٣، ص ١٥٧٣. أراعيل: جمع رعيل، وهو قطعة متقدمة من خيل وجراد وطير.

(٣) الجاحظ، رسائل الجاحظ، «فخر السودان على البيضان»، ج١، ص ٢١١.

الفصل الثاني

الفُرْس

العجمة فيهم

وهم من الأمم التي جاورها العرب وذكروها في أشعارهم، وإذا كان الأحباش من أكثر الجماعات قربى بالعرب، فإن الفرس يأتون في الدرجة التالية بعدهم. فقد ردّدوا في أشعارهم لغط الفرس وأحاديثهم بلغاتهم غير المفهومة، قال طرفة:

فَأثَارَ فَارِطَهُمْ غَطَاطاً جُثَّماً   أَصْوَاتُهُمْ كَتَرَاطُنِ الفُرْسِ(١)

هيئتهم

ووصفوا حركاتهم وكيفية تنقلاتهم وعبروا عنها تعبيراً دقيقاً، كما قال المرقش واصفاً مشيتهم بتثاقل وبطء، فشبههم بقلانسهم بالبقر الوحشية الراتعة الآمنة في الديار المهجورة:

إلاّ مِنَ العينِ تَرَعّى بِهَا

كَالفَارِسِيِّينَ مَشَوا فِي الكُمَمْ(٢)

---

(١) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال (دمشق، مط. مجمع اللغة العربية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ١٦٦.

(٢) الضبي، المفضليات، ص ٤٧١. الكمم: القلانس.

وقد قصر تميم بن مقبل الصورة على تشبيه ثور وحشي بفتى فارسي مشيراً إلى لون سراويله السود التي تشبه قوائم الثور السود، فقال:

أَتى دُونَها ذَبُّ الرِّيَـــادِ كَأَنَّـهُ
فَتىً فَارِسِيٌّ فِي سَرَاوِيلِ رَامِحِ(١)

وقد تحدث الأخطل عن التقاء رؤساء الفرس في أعيادهم، فشبه تحركاتهم بتحركات الثيران، فقال:

تَظَلُّ بِهِ الثِّيرَانُ فَوْضَى كَأَنَّهـــا
مَرَازِبُ وَافَتْهَـا لِعِيدٍ مَـرَازِبُ(٢)

وقد كرر ذو الرمة الصورة نفسها مشبهاً مشية الثيران الوحشية في بطء وتثاقل بذهاب جماعة من الفرس المرازبة إلى بيت أحدهم، فقال:

تُمَشِّي بِهِ الثِّيرَانُ كُلُّ عَشِيَّـــةٍ
كَمَا اعْتَادَ بَيْتَ المَرْزُبَانِ مَرَازِبُه(٣)

ولم يطور جرير في الصورة إلا في المواقع فقط، أما الرؤية فهي الرؤية ذاتها عند المرقش، وعند معاصريه الأخطل وذي الرمة، فالثيران في وضح الشمس كرؤساء من رؤساء مجوس هراة:

نَظَرْتُ مِنَ الرُّصَـافَةِ أَيْنَ حَجْـرٌ
وَرَملٌ بَيْنَ أَهلِهِمَـا وَبِيـــدٌ

---

(١) ديوان ابن مقبل، تحقيق عزة حسن (دمشق، مط. مديرية إحياء التراث، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م)، ص ٤١.
(٢) شعر الأخطل، ج٢، ص ٧٦٥.
(٣) ديوان ذي الرمة، ج٢، ص ٨٢٤.

بِهَا الثِّيـــرَانُ تُحْسَبُ حِينَ تُضْحي

مَرَازِبَةٌ لَهَا بِهَــرَاةَ عِيــــدُ(١)

ولم يذكر المزرد الثيران، ولكنه نص على وقت الضحى، كما نص عليه جرير، فقال في عبدالله بن الزبير:

فَأَصْبَحَ كَالدِّهْقَـــانِ لَمَّا بَدَا لَـهُ

مِنَ الشَّمْسِ إِشْرَاقٌ وَلَمَّا تَرَجَّلِ(٢)

وإذا كان الدهقان من رؤساء الفرس، والفرس مجوس، فقد شبه المرار الفقعسي الدهاقين بالظباء، ولكنه جعلهم نصارى فقال:

عُكُوفَ النَّصَارَى إِلَى عِيدِهَـــا

تُمَشِّي دَهَاقِينُها فِي المُـلاءِ(٣)

وهذا مثل قول الآخر:

يُمَشِّي بِهَا كُلُّ مَوْشِيٍ أَكَارِعُــهُ

مَشْيَ الهَرَابِذِ حَجُّوا بَيْعَةَ الزُّونِ

فقد أخطأ الشاعر ههنا من ثلاثة أوجه: أحدها أن الهرابذ للمجوس لا للنصارى، والثاني أن البيعة للنصارى لا للمجوس، والثالث أن النصارى لا تعبد الأصنام أي الزون(٤).

---

(١) ديوان جرير، ص ١٤٧.

(٢) المرزوقي، شرح الحماسة، ج٢، ص ٦٥١. الترجل: إذا ارتفعت الضحى وانبسطت الشمس، ولم يشتد حرها، أو هو قبل انتصاف النهار.

(٣) أبو تمام، الوحشيات، ص ٥٥.

(٤) الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص ٢٢٧.

ديانتهم

أما الصورة الشائعة عنهم في عبادتهم، فهي عبادة النار، ولذلك قال امرؤ القيس:

أَحَارِ أُرِيكَ بَرْقاً هَبَّ وَهْنــاً ... كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ اسْتِعَارا(١)

وهكذا نجد تميم بن مقبل أكثر دقة في نسبة الفرس إلى المجوسية لا إلى النصرانية، فشبه الثور الوحشي والبروق تلتهب حوله، وهو تحت الأرطاة، بمجوسي يقترب من النار، فقال:

كَأَنَّ مَجُوسِياً أَتَى دُونَ ظِلِّهَــا
وَمَاتَ النَّدَى عَنْ جَانِبَيْهِ فَأَصْرَمَا(٢)

كما شبه في مكان آخر البروق بنيران المجوس فقال:

ولاَحَ بِبُرْقَةِ الأَمْهَارِ مِنْهــا ... بِعَيْنِك نَارِحٌ مِنْ ضَــوْءِ نَارِ

ثم قال:

لِمُشْتَاقٍ يُصَفِّقُــهُ وُقُــــودٌ
كَنَارِ مَجُوسَ فِي الأَجَــمِ المُطَــارِ(٣)

وهذه الصورة الأخيرة هي الصورة نفسها عند أوس في قوله:

لَيْثٌ عَلَيــهِ مِنَ البُرْدِيِّ هَبْرِيَــةٌ
كَالمَرْزُبَــانِيِّ عَيَّارٌ بِأَوْصَــالِ(٤)

---

(١) اللسان، «محبس»، وانظر ديوان امرىء القيس، ص ١٤٧.
(٢) ديوان ابن مقبل، ص ٢٨٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ص ١٤٩-١٥٠.
(٤) التاج، «هبر»، وانظر ديوان أوس ...، ص ١٠٥.

والهبرية: ما يتناثر من القصب والبردي فيبقي في شعره متلبدا.

طبقاتهم و مجالسهم

وفي صورة أخرى للرؤساء الفرس، يشبه امرؤ القيس فرسه وهو ممتد شامخ برأسه في خيلاء بفارسي عزيز في قومه شد النطاق في وسطه، وهي ملاحظة جديرة بالاهتمام تبين انعكاس شخصية أولئك الرؤساء والدهاقين، كما تبين طريقة لبسهم:

وَقَامَ طُوالَ الشَّخْصِ إِذْ يَخْضِبُونَهُ
قِيَامَ العَزِيزِ الفَارِسِيِّ المُنَطَّـــقِ(١)

ثم إنهم من ناحية أخرى أعطونا بعض الملاحظات عن مجالس لهوهم، فكبراؤهم كانوا يتخذون المغنيات والمغنين يعزفون أمامهم بآلاتهم الموسيقية، ولقد شبه أبو صخر الهذلي ليلة سمر في البادية بحفلة موسيقية أقامها أحد كبراء الفرس في سكر ونشوة، فقال:

سِوَى عَزْفِ سُمَّارٍ بِهَا كُلَّ لَيْلَـــةٍ
كَعَزْفِ قُيُونِ الفَارِسِيِّ لَدَى الشَّرْبِ(٢)

وهكذا قال الأخطل مشبها الذبان وهي تحوم على قرن الثور الملطخ بالدماء بغناء الفرس على رأس قائدهم:

فَرْدٌ تُغَنِّيهِ ذِبانُ الرِّيَـــاضِ كَمَا
غَنَّى الغُـــوَاةُ بَصَنْجٍ عِنْدَ إِسْوَارِ(٣)

---

(١) ديوان امرىء القيس، ص ١٧٥.
(٢) شرح أشعار الهذليين، ج٢، ص ٩٧٠.
(٣) شعر الأخطل، ج١، ص ١٦٧، وانظر مثل تلك الصور في اللسان، «قلس».

وقال آخر:

كَأَنَّ أُسُودَ الغِيـــلِ تَعْزِفُ حَوْلَهُ

مَرَازِبـــةٌ تَغْشَى أَمِيراً مُؤَمَّرا(١)

فهؤلاء المرازبة حول الملك مثل الأسد وحوله الأسود.

ومن الصور الطريفة في هذا المجال، الصورة التي عرضها عبدالمسيح بن عسلة لأحدى تلك المجالس، والمغنون يعزفون لجماعة من الفرس بعد أن دبت فيها الخمرة، وتسربت إلى أنفسهم النشوة وغلبهم النعاس، وما زال المغنون يعزفون حتى تستيقظ تلك الجماعة فيكون السرور متصلاً لهم عند النوم وعند اليقظة، يقول:

وسَمَـــاعِ مُدجِنَةٍ تُعَلِّلُنـــا حَتَّى نؤُوبَ تَنَـــاوُمَ العُجْمِ(٢)

بل من الصور الطريفة الأخرى التي نقلها العرب عن الفرس فيما يتعلق بمجالسهم وصلتهم ببعضهم في تلك الأوضاع، صورتهم وقد اجتمعوا على طعام وشراب فشدوا أفواههم، وأمسكوا عن الكلام، فلا يكون كلامهم حينذاك إلا زمزمة لا تفهم، قال كعب بن زهير:

وبَارِكْنَ جَوْنا تَنْسُجُ الرِّيـــحُ مَتْنَهُ

تَنَاءَمَ تَكْلِيمَ المَجُوسِ غَرَانِقُهْ(٣)

---

(١) أبو العلاء المعري، الفصول والغايات، ضبط محمد حسن زناتي (بيروت، المكتب التجاري، ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م)، ص ٤٠٩.

(٢) الضبي، المفضليات، ص ٥٥٦.

(٣) ديوان كعب بن زهير، ص ١٩٤.

ويصف الراعي أحد سادات الفرس وقد توشح بالكتان لباسه، وهو يمشي في زهو وخيلاء كما يمشي الثور، فيقول:

يَعْدُو الظَّوَاهِرَ فَرْداً لا أَلِيــــفَ لَهُ
مَشْيَ البِطْرِكِ عَلَيْهِ رَيْطُ كتّـــانِ(١)

ومشية الرئيس من الفرس، مما لاحظه الشعراء كثيراً، وقد مر بنا بعضه، ومنه قول امرىء القيس:

مَشْيَ الهِرَبْذِي فِي دَفِّهِ ثُمَّ فَرْفَرَى(٢)

ومنه أيضاً قول الأعشى في تشبيه الثور بالفارسي الحاكم وقد شد وسطه:

فَظَلَّ يَغْشَى لِوَى الدِّهْقَانِ مُنْصَلِتاً
كَالْفَارِسِيِّ تَمَشَّى وَهْوَ مُنْتَطِــقُ(٣)

ولعلّ أجمل وصف متكامل لرؤساء الفرس، ما قدمه العجاج في قوله:

أو مَرزُبانُ القريــــة المخمــور
دهقن بالتـــاج وبالتسويـــر
فحـــط في عَلْقى وفي مُكـــور
بين تواري النمـــس والـذُّرور(٤)

فهذا المرزبان، لبس التاج وتحلى بالأسورة من الذهب حتى أضاءت حليه كما تضيء الشمس عند الغروب.

---

(١) اللسان، «بطرك».
(٢) اللسان، «هربذ».
(٣) التاج، «دهقن».
(٤) ديوان العجاج، تحقيق عزة حسن، ص ٢٣٣. بيروت، دار الشروق، ١٩٧١م

وقد قدم الراعي صورة مشابهة لتلك، حين شبة الثور وهو يصرع الكلاب، بالتاجر الكرماني، وكرمان من بلاد فارس، وقد علته نشوة النصر، يقول:

فَكَرَّ مُنْتَصِراً يَحْمِي حَقِيقَتَهُ
كَصَاحِبِ البَزِ مِنْ كِرمَانَ مُنْتَصِرِ (١)

ومن أوصافهم لمساكن الفرس قول خفاف بن ندبة:

تَبِيتُ عِتَاقِ الطَّيْرِ في رحباتها   كَطُرَّةِ بَيْتِ الفَارِسِيِّ المُعَلَّقِ(٢)

ثم إن جريرا شبه ناقته ببناء أولئك الرؤساء الفرس، فقال:

لَهَا مِخرَمٌ يُطْوَى عَلَى صُعَدَائِهَا
كَطَيِّ الدَّهَاقِينِ البِنَاءَ المُشَيَّدَا(٣)

ويؤكد هذا التشابه في النظرات الجاهلية والإسلامية أن العربي سواء كان مهددا من الفرس في الجاهلية أو بيده زمام الأمور في الإسلام، إنما كان يصدر عن موقف معين، وينطلق من منطلق فكري ونفسي خاص، لم يكن وليد فترة تاريخية محددة.

---

(١) ابن كتيبة، المعاني الكبير، ج ٢، ص ٧٤٣.   البز: السلاح.
وفي شعر الراعي، ص ١٠٥. "من حوران" وهذا مالا يتوافق مع التشبيه المتكرر.

(٢) شعر خفاف بن ندبة السلمي، جمع نوري القيس (بغداد، المعارف، ١٩٦٨م) ص ٣٤.

(٢) ديوان جرير، ص ١٨٥.

الفصل الثالث

الهنـــود

تجارتهـــم

على الرغم من البعد الجغرافي للهند عن الجزيرة العربية، فقد عرف العرب الهنود، ويبدو أن أهم وسيلة من وسائل الاتصال بأهل تلك القارة، كانت التجارة. وإن أقرب منطقة للهند هي شرقي الجزيرة العربية، ومن مرافئها المشهورة «دارين». ولقد كان الهنود يتاجرون بالعطور كالمسك والعنبر واللؤلؤ، كما أخبرنا بذلك النابغة الجعدي، فقال:

كَأَصــْدَافِ هِنْدِيِّينَ صُهْبٌ لِحَاهُم
بِدَارِينَ يَبْتَاعـــَانِ مِسْكاً وَعَنْبَراً(١)

ويتبين من البيت السابق أن لحى أولئك الهنود ذات اللون الأصفر الضارب إلى الحمرة الملتفة المتراكبة قد لفتت نظر العربي، وهي صورة ليست غريبة عن الهنود حتى وقتنا الحاضر.

أما الطريق التي يسلكها التجار، حقا، فهي البحر، ويتبين من البيت التالي للبيد، كيفية عناية الهنود بسفنهم، ومبلغ ما وصلت إليه من تطور، فقد أحكم الهنود سفنهم بسد كل عيب فيها (درءها) بالألواح الخشبية المشقوقة (سقائف)، ثم معالجتها بالدهانات، يقول:

كَسَفِينَةِ الهِنْدِيِّ طَابَقَ دَرْءَهـــَا
بِسَقَائِفَ مَشْبُوحَةٍ وَدِهـــَانِ(٢)

(١) ديوان الجعدي، ص ٦٤.

(٢) ديوان لبيد، ص ١٤٢.

ولقد استمرت صورة التاجر الهندي في الشعر العربي حتى العصر الأموي، فقال الراعي يصف روضة:

كَأَنَّ تِجَارَ الهِنْدِ حَلُّوا رِحَالَهُـــمْ
عَلَيْهَا طُرُوقاً ثُمَّ أَضْحَوا بِهَا الغَدَا(١)

كما نجد جريرا ذكر ميناء آخر مهماً من موانئ شرقي الجزيرة العربية تفد إليه سفن التجار الهنود، إنه «أوال»، يقول:

وَشَبَّهْتُ الحُدُوجَ غَـــدَاةَ قَـــوٍّ   سَفِينَ الهِنْـــدِ رَوَّحَ مِنْ أَوالا(٢)

فتجارة الهند البحرية ملحوظة بارزة في الشعر العربي، يقول عبدالله بن قيس الرقيات، مبيناً اهتمام الهنود بتجارة اللؤلؤ:

دُرَّتَا غَائِصٍ مِنَ الهِنْـــدِ مَالُ الشَّــامِ يُجْبَى إِلَيْهِـــمَا وَالعِرَاقِ(٣)

الغـــوص

وفي بيت ابن الرقيات السابق إشارة إلى أن الهنود كانوا يمارسون الغوص. ومعلوم أن سواحل الخليج العربي تحتوي على مغاصات غنية باللؤلؤ. ولهذا نرى القطامي من واقع المشاهدة يقدم لنا صورة مفصلة لعلاقة الهنود بالبحر والتجارة البحرية حين صور غواصاً هندياً على ظهر سفينة، وكيف يهوي إلى أعماق البحر يحفه الهلاك والموت، ثم يستخرج الدرة فرحاً بها، يقول:

---

(١) شعر الراعي النميري، ص ١٩٦. طروقا: طرق القوم يطرقهم طرقا وطروقا: جاءهم ليلاً.

(٢) ديوان جرير، ص ٤١٢.

(٣) ديوان عبيد الله الرقيات، ص ٤١.

أَوْ دُرَّةٌ مِنْ هِجَانِ الدُّرِّ أَدْرَكَهَـــا
مُصَغَّرٌ مِنْ رِجَالِ الهِنْدِ قَدْ سَهِمَا
أَوْفَى عَلَى ظَهْرِ مِسْحَاجٍ تُقَدِّمُـــهُ
غَوَارِبُ المَاءِ أَلْقَيْنَهُ قُدُمَـــا
جَوْفَاءَ مَطْلِيَّةً قَاراً إِذَا احْتَنَحَـــتْ
بِهِ غَوَارِبُهُ قَحَّمْنَهَا قَحَمَــــا
حَتَّى إِذَا السُّفْنُ كَانَتْ فَوْقَ مُعْتَلِـجٍ
أَلْقَى المَعَاوِزَ عَنْهُ ثُمَّتَ انْكَتَمَا
فِي ذِي حُبُوكٍ يُقَضِّي المَوْتُ صَاحِبَهُ
إِذَا الصَّرَارِيُّ مِنْ أَهْوَالِهِ ارْتَسَمَا
غَوَّاصُ مَاءٍ يَمُجُّ الزَّيْتَ مُنْغَمِســـاً
إِذَا الغُمُورَةُ كَانَتْ فَوْقَهُ قِيَمَـــا
حَتَّى تَنَاوَلَهَا وَالمَوْتُ كَارِبُـــــهُ
فِي جَوْفِ سَاجٍ سَوَادِيٌّ إِذَا فَحَمَا (١)

وكان الشماخ، الشاعر الجاهلي، قد اختصر الصورة، فقال:

جَانِبَيْ دُرَّةٍ زَهْـــرَاءَ جَـــاءَ بِهَـــا
مُحَمْلَجٌ مِنْ رِجَالِ الهِنْدِ مَجْدُولُ (٢)

---

(١) ديوان القطامي، تحقيق: إبراهيم السامرائي (و) أحمد مطلوب (بيروت: دار الثقافة ط. أولى ١٩٦٠م) ص ص ٩٨-١٠٠. مسحاج: الذي يقشر كل شيء. ساج: البحر إذا ركد وأظلم. قيم: جمع قامة، وهي مقدار كهيئة رجل يبني على شفير البئر يوضع عليه عود البكرة، وكل شيء فوق سطح ونحوه فهو قامة.

(٢) ديوانه، ص ٢٧٥.

ويبدو أن الهنود كانوا معروفين جنساً يخالط العرب في فترة جاهلية متأخرة، فقد نسب إلى أبي طالب قوله، وقد نسبهم إلى ضعف العقل، وهو يهجو بني جمح:

إِلَى أُمَّةٍ مَجْنُونَةٍ هِنْدِكِيَّـــــةٍ
بَنِي جُمَحٍ عَبِيدِ قَيْسِ بْنِ عَاقِلِ(١)

وقد قال الشاعر المخضرم مزرد، مشبها النعم برجال هنود:

مَعَاهِدُ تَرْعَى بَيْنَهَا كُلُّ رَعْلَــــةٍ
غَرَابِيبُ كَالهِنْدِ الحَوَافِي الحَوَافِدِ(٢)

الهنود في زمن الفتح الإسلامي

وفي الفترة الإسلامية الأموية، وجدنا فجأة صورة أخرى، مختلفة عما عهدناه، إنها صورة هندي مشتمل على بعض المعاني السابقة، ولكنه مصلوب في شعر ذي الرمة حين يشبه الحرباء عند الظهيرة برجل من الهند ذي شيبة (ويعني ذلك أيضاً ما مر سابقاً -كثافة اللحية)، يقول:

كَأَنَّ حِرِبَاءَهَا فِي كُلِّ هَاجِـــرَةٍ
ذُو شَيْبَةٍ مِنْ رِجَالِ الهِنْدِ مَصْلُوبُ(٣)

ولعل ذلك نتيجة الفتوحات الإسلامية، كما أشار إلى ذلك رؤبة:

---

(١) التاج، «هند».

(٢) الضبي، المفضليات، ص ١٢٨. الحوافد: جمع حافد، والحَفْد الإبطاء، وهو مشي فيه تقارب.

(٣) ديوان ذي الرمة، ج٣، ص ١٥٧٦.

أَهْدَى إِلَى السِّنْدِ لُهَاماً حَاشـــداً
حَتَّى اسْتَبَاحَ السِّنْدَ وَالأَهَانِـــدا (١)

وكما قال كثير مشيراً إلى إطالة الهنود لشعور رؤوسهم «يوفون الوفور»:
وَمُقْرَبَةٌ دُهْمٌ وكُمْتٌ كَأَنَّهَـــــا
طَمَاطِمُ يُوفُـــونَ الوُفُورَ هَنَادكُ(٢)

ويقول الكميت:
رهط من الهند في أيديهم صَعَل(٣)

ومن طريف الملاحظات ما ذكره الكميت في معروف الأسدي (ت ٩٦هـ)، في تشبيهه زمام الناقة بظهر الحية (وتشبيه الزمام بالحية مذهب معروف)، إلا أن طرافة الصورة هو ربط حركة الزمام بحركة الحية بين يدي الحاوي السندي، يقول:
إلى دف هلواع كأن زمامها   قرى حية تخشى من السند حاويا (٤)

(١) التاج، «هند».
(٢) ديوان كثير، ص ٣٤٧، وانظر التاج، «هند».
(٣) شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع داود سلوم (النجف، مط. النعمان، ١٩٦٩م)، ج٢، ص ٤٣.
(٤) حاتم الضامن، شعراء مقلون (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٧م).

الفصل الرابع

الأتراك

عداوتهم وشراستهم

لقد تكررت في الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام الإشارات إلى الفرس والأحباش والهنود. ولكننا لم نجد إلا إشارات نادرة جداً إلى الأتراك، ويبدو أن احتكاك العرب الشديد والمباشر بهم كان بعد الفتح الإسلامي.

وهناك حديث يقول: «تقاتلون قوما عراض الوجوه، خنس الأنوف، صغار الأعين، كأن وجوههم المجانُ المُطرَّقة»(١). وقد فسر هذا الحديث بأن المراد بهم الترك لأن الغالب على آنافهم الخنس، وهو شبه الفَطَس(٢). كما جاء في الخبر: "تاركوا الترك ما تركوكم"(٣). وقد نسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله في الترك: «عدو شديد طلبه، قليل سلبه»(٤). وقال الجاحظ: «(إن) العرب إذا ضربت المثل في العداوة الشديدة قالوا: «ما هم إلا الأتراك والديلم»(٥). ومن ثم قيل إن أوس بن حجر قد عناهم في قوله:

نَكِّبْتُهَا مَاءَهَمْ لَمَّا رَأَيْتُهُــمُ ... صُهْبَ السِّبَالِ بِأَيْدِيهِمْ بَيَازِيرُ(٦)

---

(١) الأمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل (بيروت، المكتب الإسلامي ب.ت)، ج٢، ص ٤٩٣. المجان: جمع مجن، وهو الترس.

(٢) اللسان: «خنس».

(٣) الجاحظ: رسائل...، «مناقب الترك»، ص ٧٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(٦) المصدر نفسه. وانظر المرزوقي، الحماسة، ج١، ص ٤٣. البيازير: العصي العظام، الواحدة بيزارة، أو هي الخشبة التي يدق بها القصار.

كما ورد ذكر الأتراك صراحة في قول عدي بن زيد:

وَجِئْنَ بِتُرْكٍ مِنْ قَـــرَارِ بِلادِهِمْ
يَسِيرُ بِجَمْعٍ كَالدَّبَا الْمُتَسَـــانِدِ(١)

وقال محقق ديوان الأعشى عن قوله:

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الخَمْـــرَ تَـرْ كُضُ حَوْلَنَا تُرْكٌ وَكَابُـــلْ

«ترقص من حولنـا الجواري البيض من تركيـة وكابليـــة». (٢)

وقال حميد بن ثور الهلالي يصف تركياً مسناً (علفوف) راقداً حول حوض ترده الإبل (قرو)، مثل مَسْك الشاة الذي بسط تحت الوطب:

وَغَرَّرَهُ حَتَّى اسْـتَدَارَ كَأَنَّـــهُ
عَلَى القَرْوِ عُلْفُوفٌ مِنَ التُّرْكِ رَاقِدُ(٣)

وقد قال الأعلم عن البيت الثاني من قول النابغة:

بَكَى حَارِثُ الجَوْلانِ مِنْ فَقْدِ رَبِّهِ
وَحَورَانُ مِنْهُ مُوحِشٌ مُتَضَائِـــلُ
قُعُوداً لَهُ غَسَّانُ يَرْجُونَ أَوْبَـــهُ
وَتُرْكٌ وَرَهْطُ الأَعْجَمِينَ وَكَابُـــلُ

---

(١) ديوان عدي بن زيد العبادي، ص ١٢٤.

(٢) ديوان الأعشى، ص ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٣) ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق عبدالعزيز الميمني (مصر، مط. دار الكتب ط. أولى، ١٣٧١هـ/١٩٥١م)، ص ٦٨.

«وصف في البيت أن العرب والعجم كانوا يؤملونه، ويرجون خيره»(١).

وقد نُسب إلى أبي طالب قوله على غرار تلك التقفية:

تَظَلُّ بِنَا الأعــــدَاءُ وَدُّوا لَوَ أنَّنَا
تُسَدُّ بِنَا أبــوابُ تُرْكٍ وكَابُــلِ(٢)

وإضافة إلى ذلك فقد عرف العرب خيول تلك المناطق التي كانت تستخدم في الجيوش الفارسية قبل الإسلام. قال حسان بن حنظلة مشيراً إلى استخدام الفرس لتلك الخيول في أثناء صراع كسرى وبهرام شوبين:

بَذَلْتُ لَهُ ظَهْرَ الصُّبَيبِ وَقَدْ بَدَتْ
مُسَوَّمَةٌ مِنْ خَيْلِ تُرْكٍ وكَابُــلا(٣)

الصراع المرير مع الترك

ولقد اشتدت العداوة بين العرب الفاتحين والأتراك في فترة الفتوحات الإسلامية. وليس أدل على ذلك العداء والخبرة المريرة مع الأتراك من قول عملس ابن عقيل بن علفة في الإسلام، وفي العهد الأموي بالذات:

تَبَدَّلْتُ مِنْه بَعْدِ مَا شَابَ مَفْرِقِي
عَدَاوَةَ تُركِي وبُغْضِ أبِي حِسْــلِ(٤)

(١) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر، دار المعارف، ط ٢، ١٩٨٥م)، ص ص ١٢١.١٢٢.

(٢) التاج: «كبل».

(٣) البكرى، معجم، ج٤، ص ١١٠٩.

(٤) الجاحظ، رسائل...، مناقب الترك، ص ٧٠٦.

ونتبين هذه العداوة أيضاً في هذه الصورة الطريفة لتركيين غاضبين متهيئين للقتال:

كَأَنَّهُ وَجْهُ تُركِيَّيْنِ قَدْ غَضِبَا مُسْتَهْدَفٌ لِطِعَانٍ غَيْرِ تَذْبِيب(١)

فهذه الصورة، صورة شبيهة بصورة أبي دؤاد الحبشي المتوثب للقتال التي مرت بنا سابقاً.

فمن ذلك قول مسكين الدرامي:

كَأَنَّ قُدُورَ قَوْمِي كُلَّ يَوْمٍ قِبَابُ التُّرك مُلْبَسَةُ الجِلالِ(٢)

وقول ابن الرقيات في هجائه يزيد بن المهلب وكانت أمه من سبي كابل:

غَالَبَتْ أُمُّهُ أَبَاهُ عَلَيْهِ فَهْوَ كَالكَابُلِيِّ أَشْبَهَ خَالَهْ(٣)

وقول أبي حزابة التميمي، وهو شاعر أموي أيضاً:

فَعُقْبَةُ بْنُ زُهَيْرٍ يَوْمَ نَازَلَهُ
جَمْعٌ مِنَ التُّركِ لَمْ يُحْجِمْ وَلَمْ يَخِمِ(٤)

وقول المهلب بن أبي صفرة:

فَلَلتُّرْكِ أَوْفَى مِنْ نِزَارٍ وَعَهْدِهَا
فَلا يَأْمَنَنَّ الغَدْرَ يَوْمٌ عَهِيدُهَا(٥)

---

(١) القرطبي، الجامع...، م١، ج١، ص ١٩٠.
(٢) المرزوقي: الحماسة، ج٤، ص ١٧٠٦. الجلال: أغطية سوداء.
(٣) ديوان ابن الرقيات، ص ١٨٨.
(٤) المرزوقي، الحماسة، ج٢، ص ٦٨٧. لم يخم: يقال: خام عن قرنه إذا نكل ونكص على عقبيه.
(٥) التاج، «عهد».

ولقد أعطانا الفرزدق صورة واضحة عن حقيقة الموقف والعلاقة المتوترة والدموية بين المسلمين والأتراك في تلك الفترة فقال:

رَدَدْتُمْ عَلَينَا الخَيْلَ والتُّرْكُ عِنْدكُمْ
تَحَدَّى طِعَاناً بِالأسِنَّةِ أحْمَـــرَا(١)

وقال:

تُوَامِرُهَا فِي الهِنْدِ أنْ تَلْحَقَا بِهِمْ
وَبِالصِّينِ صِينِسْتَانَ أو تُرْكِ بَغْبَرا(٢)

وقال في مدح المهلب :

وَلَئِنْ سِلمْتَ لَتَعْطِفَنَّ صُدُورَهَا لِلتُّرْكِ عَطْفَةَ حَازِمٍ مِغْـــوَارِ(٣)

كما نجد تقفية الأعشى (ترك وكابل) ، عند الفرزدق في قوله:

وإنْ تَأتِ أرْضَ الأشْعَرِينَ تَجِدْهُمُ
يَخَافُونَنِي أوْ أرْضَ تُرْكٍ وكَابُـلِ(٤)

ونجد آدم بن عمر بن عبدالعزيز يذكر غربته في بلاد هؤلاء القوم فيقول:

مَالِي وَلِلـرَّي وَأكْنَافِهَـــا يَاقَوْمِ بَيْنَ التُّرْكِ وَالدَّيْلَـــم
أرْضٌ بِهَا الأعْجَمُ ذُو مَنْطِـقٍ وَالمَرْءِ ذُو المَنْطِقِ كَالأعْجَمِ(٥)

---

(١) ديوان الفرزدق، ج١، ص ٢٣٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٥.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤٠.
(٥) التاج، «برثم».

ويكاد الموقف جميعه يجتمع في قول عبدالله بن سبرة في الترك:

نَجّاني اللّهُ يَوْمَ الكَرِّ مِنْ نَفَــــرٍ
خُزْرِ العُيُونِ وَنَفْسٌ صُلْبَةِ العُودِ (١)

وعلى الرغم من تلك الصور غير السارة للأتراك، نجد عند جرير صورة جميلة مسالمة، ولعلها جاءت بعد أن تم الانتصار على الأتراك كلية وأصبحوا ضمن الرعايا التابعين للدولة الإسلامية، فقال:

تَبِيتُ اللَّيْلَ تَسْلَقُ إِسْكَتَاهَـا   كَدَأْبِ التُّرْكِ تَلْعَبُ بِالكُرَاتِ (٢)

ولعل مما يلحق بالترك من أقوام في شرق آسيا:

الأكـــراد

من الغريب أننا لا نجد ذكراً للأكراد إلا في فترة الفتح الإسلامي مع أن الأكراد أقرب جغرافياً من الأتراك. ومع ذلك كان ذكر هؤلاء في الشعر الإسلامي نادراً، مثل قول ذي الرمة:

أَتَى مَعْشَرُ الأَكْرَادِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
وَحَوْلاَنِ مَرّاً وَالجِبَالُ الطَّرَامِـسُ (٣)

وقال الفرزدق في آل المهلب:

وَلَقَدْ رَجَعْتَ وَإِنَ فَارِسَ كُلَّهَا   مِنْ كُرْدِهَـا لَخَوَائِفُ الـمُرَّارِ (٤)

---

(١) البكري، معجم...، ج٤، ص ١١٢٤.
(٢) ديوان جرير، ص ٨٦.
(٣) ديوان ذي الرمة، ج٢، ص ١١١٨.
(٤) ديوان الفرزدق، ج١، ص ٣٠٤.

إنهم قربوا نسبهم بنسبهم فقال بعض الشعراء:

لَعَمْرُكَ مَا الأكْرَادُ أبْنَاءُ فَارِسٍ
وَلَكِنَّه كُرْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ(١)

السغد

وهكذا، فإن السغد هم أيضاً كانوا من أقاليم ما وراء النهرين، ولذلك اقترن ذكرهم بالفترة التي ذكرت فيها الأتراك. فمن ذلك قول شقيق بن سليك الأسدي:

وَخَافَتْ مِنْ جِبَالِ السُّغْدِ نُفْسِي
وَخَافَتْ مِنْ جِبَالِ خَوَارِزْمِ (٢)

وذكرهم العديل بن الفرخ العجلي وهو شاعر أموي، فقال:

قُرُومٌ تَسَامَى مِنْ نِزَارٍ عَلَيْهِمُ
مُضَاعَفَةٌ مِنْ نَسْجِ دَاودَ وَالسُّغْدِ(٣)

---

(١) التاج، «كرد».

(٢) المرزوقي، الحماسة، ج٢، ص ٧٧٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٣٣. وانظر أقواما أخرى من تلك المناطق في اللسان: «قفس».

الفصل الخامس

الــروم

العجمة فيهم

الرطانة تعني الكلام بلغة غير عربية مفهومة، ومرأى النعام في الصحراء من المظاهر التي رصد الشاعر العربي تحركاتها وسجل دقائق تفصيلاتها. فهذا علقمة بن عبدة ينقل حديث الظليم للنعامة في قوله:

يُوحِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضٍ وَنَقْنَقَةٍ
كَمَا تَرَاطَنَ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ(١)

وذو الرمة يقول:

دَوِيَّةٌ وَدُجَى لَيْلٍ كَأَنَّهُمَا   يَمٌّ تَرَاطَنَ فِي حَافَاتِه الرُّومُ(٢)

شقرة ألوانهم

ولقد عُرف الروم عند العرب ببني الأصفر، قال عدي بن زيد:

وَبَنُو الأَصْفَرِ الـمَلوك مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمُ مَذْكُورُ(٣)

وعلى الرغم من أن اللون الأصفر كان صفة للروم، فإن اللون الأحمر، لون الأعاجم عموماً، هو الصفة التي يبدو أنها كانت غالبة عليهم، ولذلك قال الفرزدق:

---

(١) الضبي، المفضليات، ص ٨٠٧. الإنقاض: الصوت مثل النقْر بالشاة والبكارة من الإبل. النقنقة: صوت الظليم. الأفدان: جمع فدن، وهي القصور.

(٢) ديوان ذي الرمة، ج١، ص ٤١٠.

(٣) ديوان عدي بن زيد العبادي، ص ٨٧.

فَحُبُّكَ أغْشَانِي بِلاداً بَغِيضَةً إلَيَّ ورُومِيّاً بِعَمَّانَ أَقْشَــرا(١)

وقد أشار الجاحظ إلى بعض صفاتهم الجسمية، فقال: «في فرنجة الروم، والصقالبة من إفراط سبوطة الشعر والرقة والحمرة في شعر الرأس واللحية وبياض الحواجب والأشفار»(٢). وقد سبق أن أشرنا إلى صهوبة السبال في الروم خاصة.

أعمالهم

وحيث إن العرب أهل تنقل وارتحال، فالبناؤون، إذن، من الروم، والبنيان للروم. فهذا الأعشى يذكر أن العرب لا تستعمل الأقفال، وإنما الروم هم الذين يستعملونها في قوله:

كَمَا التَمَسَ الرُّومِيُّ مِنْشَبَ قُفْلِه
إذَا اجْتَسَّهُ مِفْتَاحُهُ أَخْطأَ الشَّبَــا(١)

ويلاحظ طرفة بناء الروم القناطر وحرصهم على تثبيتها في قوله:

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَــا لَتُكْتَنَفَنْ حَتَّى تُشَادَ بِقَرمَـدِ(٢)

---

(٢) ديوان الفرزدق، ج١، ص ١٩٧.
(٣) الجاحظ، رسائل، «فخر السودان على البيضان»، ج١، ص ٢١٩.
(٣) ديوان الأعشى، ص ١١٧. منشب قفله: أسنان القفل. الشبا: جمع شباة، وشباة كل شيء حده.
(٤) ديوان طرفة، ص ١٨. لتكتنفن: لتؤتين من أكنافها، أي نواحيها. القرمد: الآجر، جمع قرمدة.

مَرِحتْ حُرّةٌ كَقَنْطَرةِ الرُومِـــــيِّ تفري الهَجِيرَ بِالإِرْقَـــالِ(١)

ومثلما قال الأخطل في وصف ناقته أيضا:

كَأنّهَابُرْجُ رُومِيٍّ يُشَيــــــدُهُ لُزَّ بِجَصٍ وَآجُرٌّ وَأَحْجَـــــارِ(٢)

ويقول الجعدي ذاكراً سيوفهم المطلية بماء الذهب (دجالا) التي كانت تجلب من بلاد الروم:

ثُمَّ نَزَلْنَا وكَسَّرْنَا الرِّمَاحَ وَجَرَّ دنّا صَفِيحاً كَستَهْا الرُّومُ دَجَّالا(٣)

وينظر ابن مقبل إلى فرسه فيشبه صدره بترس الروم، لأن تروس الروم معروفة بكبرها وشدتها:

كَأنَّ مَا بَيْنَ جَنْبَيْه وَمَنْقَبِـــــه مِنْ جَوْزِه وَمَقَطِّ القُنْبِ مَلْطُومُ
بِتُرسِ أَعْجَمَ لَمْ تَنْخَرْ مَنَاقِبَـه مِمَّا تَخَيَّرَ فِي آطَامِها الــرُّومُ(٤)

وقد ذكر الأعشى جنسا من الروم، هم «برجان» في قوله:

وَهِرَقْــلاً يَوْمَ سَا آتِيدَمَـــــــا
مِنْ بَنِي بُرجَــانَ فِي البَأْسِ رَجَحْ(٥)

---

(١) ديوان الأعشى، ص ٥. الإرقال: ضرب من عدو الإبل.
(٢) شعر الأخطل، ج١، ص ١٦٣. لز: ألصق.
(٣) ديوان الجعدي، ص ١٠٨.
(٤) ديوان ابن مقبل، ص ص ٢٧٦-٢٧٧. جنبيه: إبطيه. منقبه: الموضع الذي ينقب فيه البيطار من بطن الفرس حتى يسيل منه ماء أصفر، وهو قدام السرة. جوزه: وسطه. مقط القنب: منقطعه، من القط، وهو القطع. القنب: جراب قضيب الدابة. الملطوم: الملصق.
(٥) ديوان الأعشى، ص ٢٣٩.

كما ذكر جرير في الإسلام «الصقالبة»، فقال مخاطباً الأخطل:

حَكَمْتَ بِحُكْمِ أُمِّكَ حَيْثُ تَلْقَى   خَلِيطـاً مِنْ صَقَالِبَـةٍ وَرُومِ(١)

وذكرهم أيضا الحكم بن عبدل الأسدي في قوله:

وَلَوْ شَاءَ بِشْرٌ كَانَ مِنْ دُونِ بَابِهِ

طَمَاطِمُ سُودٌ أَوْ صَقَالِبَةٌ حُمْـرُ(٢)

الحرب معهم

وإذا كانت تلك الصور جميعها صور إشارية، فإن الاصطدام العسكري بالروم كان محتوما في الإسلام، وابتدأت تلك الصور تتغير شيئاً ما، فهذا جعفر ابن أبي طالب يقول:

والـرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا   عَلَيَّ إِذْ لاَقَيْتُها ضِرَابُهَـا(٣)

وهكذا نجد الفرزدق يبين مدى ما بلغته القوة الإسلامية في عهد يزيد بن عبدالملك فيقول:

فَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ قَدْ رَدَدْتَ صَلاَتَـهُ

لَهُ بَعْدَ مَا قد كَانَ فِي الرُّومِ نَصْرًا

وَمَا كَانَ قَدْ أَعْيَا الوَلِيدَ وَبَعْـدَهُ

سُلَيْمَانَ مِمَّنْ كَانَ فِي الرُّومِ أَعصَرا(٤)

---

(١) ديوان جرير، ص ٤٩٧.

(٢) شعر الحكم بن عبدل الأسدي، تحقيق محمد نايف الدليمي، مجلة المورد، ١٩٧٦م، م٥ ع٤، ص ١٠٧.

(٣) ابن رشيق، العمدة، ج١، ص ٣٧.

(٤) ديوان الفرزدق، ج١، ص ٣٤٧.

ولكن الفرزدق يعطينا صورة أخرى للروم، هي اتخاذهم حرسا عند الأمراء، في قوله:

وَصُهْبٌ لِحَاهُمْ رَاكِزُونَ رِمَاحَهُمْ
لَهَم دَرَقٌ تَحْتَ العوَالِي مُصَفَّفُ(١)

ولقد اتخذ العرب من الروم عبيدا، وليس أدل على ذلك من أن زنّبرة كانت رومية من السابقات إلى الإسلام وممن عذب في الله، وكان أبو جهل عذبها، وهي من السبعة الذين اشتراهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه(٢).

ومن الصور الغريبة، صورة رومي قد وقع عليه عذاب، فلجأ يطلب النصرة قال النابغة الجعدي، مشبها إثارة ثور وحشي بقرةً وحشية، وأشار إلى عدم فهم لغته (البربرة):

كَبَرْبَرَةِ الرُّومِيِّ أُوْجِعَ ظَهْرُهُ
عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ فَاسْتَضَافَ لِيُنْصَرا(٣)

وكذلك قول جران العود مشبهاً آثار الديار بوشوم في أيدي الروم:

تُرِكْنَ بِرِجْلَةِ الرُّوحَاءِ حَتَّى ... تَنَكَّرَتِ الدِّيَارُ عَلَى البَصِيرِ
كَوَحْيٍ فِي الحِجَارَةِ أَوْ وُشُومٍ ... بِأَيْدِي الرُّومِ بَاقِيَةِ النُّؤُورِ(٤)

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٤. الدرق: جمع دَرَقة: وهي ضرب من التُّرسة، أو تُرْس تتخذ من الجلود.

(٢) القرطبي، الجامع...»، م٨، ج٦، ص ١٨٩.

(٣) ديوان الجعدي، ص ٤٢.

(٤) ديوان جران العود (القاهرة، مط. دار الكتب المصرية، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م) ص ٢٤. النؤور: النِّيلج: وهو دخان الشحم يعالج به الوشم ويحشى به حتى يَخْضَرّ.

ومن طريف الصور، الصورة التي رسمها أحدهم لسبي ذراري الروم وغيرهم: (البردج)، فشبه بياضهم الناصع ببياض البقر الوحشي، ووافق بين لباسهم الأخفاف السود (الأرندج)، بلون أقدام البقر السوداء، فقال:

وكل عيناء تُزَجِّي بَحْزَجا
كَأنهُ مُسَرْوَل أرندَجا
كما رأيت في الميلاء البَرْدَجا(١)

وجاء في رجز قديم تخصيص الروم بسقاية الخمر، وذكر شجاعة الأحباش:

وَسَاقِيَانِ سَبِطٌ وجَعْدُ وَفَارِطانِ فَارِسٌ ويَعْدُو(٢)

وظهرت في العصر الأموي صورة النساء الروميات، غير ساقيات الخمر، ممن كن يتصفن بالبياض، فهذا الأخطل يشبه القطا في وضح الظهيرة ببنات الروم البيض، زادهن تلألؤاً ثيابهن الحريرية البيضاء، يقول:

كَأنَّ دَجَائِجاً فِي الآلِ رُقْطاً بَنَاتُ الرُّومِ فِي سَرَقِ الحَرِيرِ(٣)

---

(١) اللسان، «بردج».
(٢) المعري، الفصول والغايات، ص ٣٦٨.
(٣) اللسان، «سرق». سرق الحرير: الشُقق إلا أنها البيض خاصة، واصلة بالفارسية: سَرَه: أي جيد.

الأنباط

لغتهم

أما من حيث اللغة، فكلامهم غير مفهوم -أي رطانة- مثلهم في ذلك مثل بقية الأعاجم. قال الشاعر الجاهلي خالد بن الصقب النهدي في وصف غناء الحمام:

هَبَطْنَا بَعْدَ عَهْدِكِ بَطْنَ خَبْتٍ   تَظَلُّ حَمَامُهُ مِثْلَ الخُصُومِ
كَأَنَّ عَرِينَ أَيْكَتِهِ تَلاقَى   بِهِ جَمْعَانِ مِنْ نَبَطٍ وَرُومِ(١)

والصورة نفسها نجدها عند الفرزدق في الجمع بين الأنباط والروم في عدم الإبانة:

كَأَنَّ حَدِيثَ الدَّارِجَاتِ مِنَ القَطَا
تَرَاطُنُ أَنْبَاطٍ تَلاقَتْ وَرُومُهَا(٢)

ووصف ذو الرمة القطا (الكدر) على الماء (عليه)، فقال:

كَأَنَّ صِيَاحَ الكُدْرِ يَنْظُرْنَ عَقْبَنَا   تَرَاطُنُ أَنْبَاطٍ عَلَيْهِ قِيَامِ(٣)

(١) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص ٣٥٠.
(٢) ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٢٥٥، الدوراج: درج درجا، فهو دارج، مشى مشياً ضعيفاً ودبا.
(٣) ديوان ذي الرمة، ج٢، ص ١٠٧.

ولعل من ذلك قول العجاج يصف جماعات بقر الوحش المختلفة:

كَأنَّ صِيَرانَ المَهَا الأخْلاَطْ   بِرَمْلِهَا مِنْ عَاطفٍ وَعَاطْ

بِالرَّمْلِ أُحْبُوشٌ مِنَ الأنْبَاطْ(١)

مناطقهم

حوران

في سواد العراق نشأ جيل من الناس عرف عند العرب باسم «الأنباط»، لاشتغالهم بالزراعة واستنباط الماء. وقد تردد هذا الاسم كثيراً في الشعر العربي. بل اتسعوا في لفظ «الأنباط» حتى أصبح يشمل كل من عمل بالزراعة. فهذا الفرزدق يصف أهل حوران بالأنباط فيقول:

عَلَى نَبطٍ مِنْ أهْلِ حَوْرَانَ أصْبَحَتْ

مُوَشَّمَةَ الأيْدِي لَئِيماً قُلُولُهَا(٢)

وقال البعيث:

مِنَ الدَّوِّ فَالصَّمَّانِ حَتَّى تَنَبَّهَتْ

لَهَا نَبطٌ مِنْ أهْلِ حَوْرَانَ جُثَّمُ(٣)

وقال ذو الرمة يهجو بني امرئ القيس، وأنهم فلاحون من حوران، حيث يستخدم الفلاحون النطاق لشد أوساطهم:

---

(١) اللسان، «حبش». صيران: جمع صُور، وهو القطيع من البقر. أحبوش: جماعة. عاط: عطا يعطو عطوا: تناول. عاطف: مائل، وانظر ديوان (؟؟؟؟؟؟)، ص ٢٤٧.

(٢) ديوان الفرزدق، ج٢، ص ١١٧.

(٣) البكري، معجم...، ج٤، ص ١١٠٩.

ولكن أصـــــلَ القَوْمِ قَدْ تَعْلَمُونَـهُ
بَحَورَانَ أَنْبَاطُ عِرَاضُ المَنَاطِقِ(١)

عُمـــان :

وربما امتد ذلك إلى عُمان في قول الفرزدق يهجو المهلب بن أبي صفرة:

تَبَيَّنَ أَنَّهُ نَبَطِيٌّ بَحْـــــرٍ وَأَنَّ لَهُ اللَّئِيـــمَ مِنَ الدِّيَارِ(٢)

البحـــرين :

ويمكن أن نشير هنا إلى قول ابن القرية: «أهل عمان عرب استنبطوا، وأهل البحرين نبط استعربوا»(٣).

يثـــرب :

بل نسب الرواة إلي تبع اليماني شعرا، جعل النبط يسكنون المدينة، فقال:

مَنَعَ الرُّقَادَ فَمَا أُغَمِّضُ سَاعَـــــةً
نَبَطٌ بِيَثْرِبَ آمِنُونَ قُعُـــــودُ(٤)

أعمالهم

ومهما يكن، فالنبط،كما صَـــوّرهم الشعر العربي، ليسوا أهل حرب، ولا هم أهل تنقل وترحال، قال أحدهم:

---

(١) ديوان ذي الرمة، ج١، ص ٢٦٠.
(٢) ديوان الفرزدق، ج١، ص ٢٠٨.
(٣) اللسان، «نبط».
(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١٥، ص ٣٣.

نَبِيطٌ مَامَطَـــوا جَمَلا بِنِســـعٍ
وَلأَشَدُّوا لِصَاهِلَةٍ عِـــــذَارَا
وَلاَ حَلَّتْ ظَعَائِنُهُم غَــــدَاةً
وَلاَ سَمِعُـوا النَّزِيبَ وَلاَ العِـرَارَا(١)

وأهم أعمالهم هي

الملاحــة

لقد كانوا يعملون بالملاحة، فكما وصف الفرزدق المهلب: «نبطي بحر»، قال النابغة الذبياني ذاكراً استخدامهم للسفن الطوال «قرقور»:

مُضِرٌّ بِالقُصُـــورِ يَذُودُ عَنْهَا قَرَاقِيـــرَ النَّبِيطِ إِلَى التِّلاَلِ(٢)

ولكن يبدو أنه في الفترة الأموية استخدم العرب النبط في أسفارهم، فأصبحوا يعملون مع القوافل.

قال الراعي موضحاً أنهم كانوا يعملون بالأجرة وأنهم من نبط حوران، وقد بين صفتين لهم هما: صهبة السبال وحمرة اللون:

تَحْدُو بِهِمْ نَبَطٌ صُهْبٌ سِبَالُهُـمُ
مِنْ كُلِّ أَحْمَرَ مِنْ حَوْرَانَ مُؤْتَجِرِ(٣)

وأشار جرير إلى حمرة نبط حوران، فقال في هجاء ميجاس البرجمي:

---

(١) الضبي، المفضليات، ص ٨٠٧. النزيب: من أصوات الظباء. العِرار: من أصوات الظُّلمان.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٥٢. وانظر اللسان: «قرر».

(٣) ديوان الراعي، ص ١٠٣.

إنّي لأعْلَمُ يَا ميجَاسَ أنَّكُمُ أولاَدُ أحْمَرَ مِنْ أنبَاطِ حورَانِ(١)

ولعل بعضهم كان قد اعتنق الإسلام، لأن المخبل السعدي يقول إنهم يذهبون للحج، مشبهاً تجمع الظباء في منازل محبوبته بهم، مع ملاحظة البياض في الظباء، لون الأنباط:

وتَمَشِي بِهِ عِينُ النِّعَاجِ كَأنَّهَا
نَبِيطٌ تُوافِي الحَجَّ حَانَتْ مَنَازِلُهْ(٢)

الزراعة:

ومع ذلك فالاشتغال بالأعمال الزراعية هي الحرفة الرئيسة للأنباط، ولهذا قال ربيعة بن مقروم: إنهم أهل حرث، فشبه ما في الطريق المستتب من الشراك والطرقات بآثار السن، وهو الحديد الذي يحرث به الأرض:

نَهْجٌ كَأنْ حَرْثُ النَّبِيطِ عُلُوبُه
ضَاحِي المَوارِدِ كَالحَصِيرِ المُرْمَلِ(٣)

وكما قال الآخر ذاكراً اعتناء الأنباط بالكروم، ووضعهم أخشابا منصوبة للتعريش:

مِنْ خَمْرِ عَانَةَ سَاقِطاً أفْنَانُهَا رَفَعَ النَّبِيطُ كُرُومَهَا بِقِلالِ(٤)

(١) ديوان جرير، ص ٥٨.

(٢) الأخفش، الاختيارين، ص ٦٩٤.

(٣) المفضليات، ص ٢٧٢. العلوب: الآثار.

(٤) التاج، «قل».

وكما قال الأعشى:

كَأَنَّ ثِيَابَ القَوْمِ حَوْلَ عَرِينِـــه
تَبَابِينُ أَنْبَاطٍ إِلَى جَنْبِ مُحْصَدِ(١)

وقال خداش بن زهير مشيراً إلى امتهان نساء النبط الفلاحة، ومبيناً إحدى صفاتهم الجسمية المغايرة للعرب، ألا وهي الحمرة:

كَأَنَّكُمْ نَبَطِيَّاتٌ بِمَزْرَعَـــةٍ قُشْرِ الأُنُـوفِ دَرَادِيرٌ مَآدِيرُ(٢)

وكما قال الآخر مشيراً إلى تسوية نساء النبط مجرى الماء (جعفر):

إِلَى بَلَدٍ لاَبَقٌّ فِيـه وَلاَ أَذَى وَلاَنَبَطِيَّاتٌ يُفَجِّرْنَ جَعْفَـــرَا(٣)

البنـــاء:

وهم إلى جانب ذلك بناؤون، كما قال متمم بن نويرة:

بِمُجِدَّةٍ عَنْسٍ كَأَنَّ سَرَاتَهَـــا فَدَنٌ تُطِيـفُ بِهِ النُّبِيطُ مُرَفَّعُ(٤)

أو كقول الآخر:

كَأَنَّ تَحْتَ الرَّحْلِ والقُرْطَاطِ
مِنْهَا وَتَحْتَ الأَدَمِ الأَطَّـــاطِ
قَنْطَرَةٌ مِنْ صَنْعَـةِ الأَنْبَــاطِ(٥)

---

(١) ديوان الأعشى، ص ١٩١.

(٢) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج١، ص ٥٧٢.

(٣) التاج، «جعفر».

(٤) المفضليات، ص ٦٥.

(٥) المصدر نفسه، القُرطاط: الحلْس الذي يُلقى تحت الرحل للبعير. الأطاط: أط الرجل والنِّسع يئط أطأ وأطيطا، صوَّتَ، والأطاط: الصيَّاح.

أو كقول الأعشى:

وَعُذافِرٍ سَدَسٍ تَخَالُ مَحـالَهُ بُرْجاً تُشَيِّدُهُ النَّبِيطُ القَرْمَدَا (١)

وقد شبه تميم بن مقبل أصوات الحمام في الصحراء بأصوات نساء نبطيات في بناء مرتفع قد لبسن الأكسية السوداء حداداً، وهو أحد المظاهر اللافتة للنظر، حيث اتخذ أولئك النسوة الزي الأسود علامة على الموت، يقول:

كَأَنَّ أَصْوَاتَ أَبْكَارِ الحَمَامِ بِـــه
مَنْ كُلِّ مَحْنِيَةٍ مِنْهُ يُغَنِّينَـــــا
أَصْواتُ نِسْوَانِ أَنْبَاطٍ بِمَصْنَعَـــة
بَجَّدْنَ لِلنَّوحِ وَاجْتَبْنَ التَّبَابِينَـــا
فِي مُشرِفٍ لِيطَ لَيَّاقُ البَلَاطِ بِهِ
كَانَتْ لِسَاسَتِهِ تُهْدَى قَرَابِينَـــا (٢)

والظاهر أن هذه الصورة كانت من الصور المؤثرة في نفسية العربي، إذ نرى جران العود ينقل المنظر نفسه مع اختصار شديد، فيقول:

وَاسْتَقْبَلُوا وَادِياً جَرْسُ الحَمَامِ بِهِ
كَأَنَّهُ نَوحُ أَنْبَاطٍ مَثَاكِيـــــلُ(٣)

---

(١) ديوان الأعشى، ص ٢٩.

(٢) ديوان ابن مقبل، ص ٣٢٠. مصنعة: مفرد مصانع، وهي القرى. بجدن: لبسن البُجُد، جمع بجاد، أي الكساء الأسود. اجتبن: قطعن ولبسن. التبابن: السراويل القصيرة، جمع تُبَّان. مشرف: معبد مشرف. ليط: ألصق. اللياق: البلاط الذي يَلصَق بأرض الدار. ساسته: أي ساسة المعبد.

(٣) ديوان جران العود، ص ٢٤٦.

ويقول الكميت:

كَأنَّ بَنَــاتٍ فِي حُجراتِــهِ   نَبيطٌ قُعُودٌ لابِسَاتُ البَرانِسِ(١)

ومن الصور الطريفة جدا التي نقلها لنا الشعر العربي صورة النبطية التي تخبز خبزاً ، فيتطاير منه بعض قشوره، في قول حكيم بن قبيصة:

أقْرصُ تُصَلِّي ظَهْرَهُ نَبَطِيَّــةٌ   بِتَنُّـورِهَا حَتَّى يَطِيرَ لَهُ قِشْرُ(٢)

طباعهـــم

ويتبين من هذه الأشعار أن الأنباط أمة مسالمة، وأنهم متقدمون حضارياً لاشتغالهم بالزراعة، وبالحرف الصناعية اليدوية، وليسوا أهل اعتداء وسفك دماء، ولذلك فهم يدفعون المال ليعبروا الطريق، ويضمنوا أمنهم، إلى أن جاء المهلب فنشر الأمن والاستقرار في الطرقات، فصارت آمنة لمن يعبرها، قال الفرزدق يمدح آل المهلب:

فَتَركْتَ أخْوَفَهـا وَإنَّ طَرِيقَهَا   لَيَجُوزُهُ النَّبَطيُّ بِالقِنْطَــارِ(٣)

وهم أيضاً يشتغلون بالتجارة (بالقنطار) . وكان حسان بن ثابت قال عنهم، وهو يهجو بني الحماس:

---

(١) شعره، ج١، ص ٢٤١. هكذا ورد البيت مختلاً شطره الأول .

(٢) المرزوقي، الحماسة، ج٤، ص ١٨٢٦.

(٣) ديوان الفرزدق، ج١، ص ٣٠٥ .

تَلْقَى الحِمَاسِيُّ لايَمْنَعكَ حُرمَتَـــهُ

شِبْهَ النَّبِيطِ إِذَا اسْتَعْبَدْتَهُمْ صَبَرُوا (١)

وربما عكس قول أيمن بن خريم، التالي، وضع الأنباط في بعض الفترات المضطربة من فترات الدولة الأموية:

وَخَيْلُ غَزَالَةَ تَنْتَابُهُـــــمْ تَجُوزُ العِرَاقَ وَتَجْبِي النَّبِيطَا (٢)

ألعابهم

ومن الملاحظات المهمة التي سجلها الشعر العربي القديم عن الأنباط، ذِكْر الشعراء لوسائل الترفيه عندهم، كقول العجاج يصف ثوراً، ويشبهه بلعب الأنباط:

عَكَفَ النَّبِيطُ يَلْعَبُونَ الفَنْزَجَا (٣)

وقد جاء ذكر الفنزج في شعر جرير، والفنزج: رقص العجم إذا أخذ بعضهم بيد بعض، وهم يرقصون. قال:

غَرَّهُمَ لِعْبُ النَّبِيطِ الفَنْزَجَـــا

لَوْ كَانَ عَنْ لَحْمِ مَـــزَادٍ هَجْهَجَا (٤)

---

(١) ديوان حسان، ج٢، ص ٣٥٧.

(٢) ابن قتيبة، ديوان المعاني، ج١، ص ٦٧٩.

(٣) القرطبي، الجامع...، م١، ج٢، ص ١١٤.

(٤) ديوان جرير، ص ٩٣.

ومن ألعاب النبيط أيضا "حديد بى"، قال سالم بن دارة:

حديد بى حديد بى ياصبيان(١)

وإلى جانب صهبة السبال، وحمرة العيون في الأنباط، فقد لاحظ ذو الرمة فيهم زرقة العيون، وقلة شعر اللحية والعوارض (سناط)، قال يهجو بني امرئ القيس، ويصفهم بأنهم نبط، أي غير عرب، مبيناً صفتين هامتين من صفاتهم، وهما: زرقة العيون وسبوطة الشعر:

إِنَّ امْرَأَ القَيْسِ هُمُ الأنْبَـاطُ زُرْقٌ إِذَا لاقَيْتَهُمْ سِـنَاطُ(٢)

ديانتهـم :

ولعل من الملاحظات اللافتة للنظر وصف الأنباط بأنهم غلف لا يختتنون، كما قال القائل:

كَأَنَّ عَلَى أَكْتَافِهِمْ نَشْرُ غَرْقَـدٍ
وَقَدْ جَاوَزُوا نَيَّانَ كَالنَّبطِ الغُلْفِ(٣)

وهو يشير بذلك إلى أنهم نصارى، لأن النصارى قلف، قال الراجز:

لَمَّا رَأَيْتُ نَبَطاً أَنْصَارَى

أي نصارى(٤).

---

(١) التاج، «حدب».

(٢) ديوان ذي الرمة، ج٣، ص ١٧٥٩. سناط: السنط الخفيفو العوارض. ويروى سباط، أي شعرهم غير جعد.

(٣) التاج، «نشر». نيان: موضع.

(٤) اللسان، «نصر».

وقال الفرزدق يذكر أن شَعره لم يعد كما كان جعداً ، يجعل فيه أخلاط الطيب (الغواليا):

وَأُصْبَحَ رَأْسِي بَعْدَ جَعْدٍ كَأَنَّهُ عَنَاقِيدُ كَرْمٍ لاَيُرِيدُ الغَوَالِيَا (١)

ومن المعلوم أن شعراء الأنصار من أكثر الشعراء مدحاً بالجعد(٢). ومن أدلة كون أولئك السقاة ليسوا سوداً ذوي شعر جعد، أن حسان بن ثابت يصف الساقي بأنه «أحمر» ، كما وصفت أنامله بالفرصاد من قبل، وبين طريقة لبسه من استخدامه القلنسوة والنطاق فقال:

يَسْعَى بِهَا أَحْمَرُ ذُو بُرْنُسٍ مُحْتَلَقُ الذِّفْرَى شَدِيدُ الحِزَامْ(٣)

وعلى العموم، فقد كان باعة الخمر عُجماً لا يفصحون، وقد كانوا يحتاجون إلى من يوصل اللغة إليهم -أي التراجمة، قال الأسود بن يعفر:

حَتَّى تَنَاوَلَهَا صَهْبَاءَ صَافِيَةً

يَرْشُو التِّجَارَ عَلَيْهَا والتَّرَاجِمَا (٤)

وفي وصف كيفية ملْءِ أقداح الشاربين من الفرس يقول لبيد:

فَدَعْدَعَا سُرَّةَ الرَّكَاءِ كَمَا دَعْدَعَ سَاقِي الأَعَاجِمِ الْغَرَبَا (٥)

---

(١) ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٣٥٢.

(٢) التاج، «جعد».

(٣) ديوان حسان، ج١، ص ١٠٦. البرنس: قلنسوة طويلة. الذفرى: الذفريان عن يمين النقرة ويسارها، والنقرة الوهدة في القفا.

(٤) الضبي، المفضليات، ص ٨٤٩.

(٥) اللسان، «ركا». الركاء: موضع. وصف ماءين التقيا من السيل، فملآ سرة الركاء، كما ملأ ساقي الأعاجم قدح الغَرَب خمرا.

الفصل الثاني

الصناعة

الحدادون

كل عامل بحديدة عند العرب قين، وأشهر هؤلاء هم الحدادون، كما قال المثقب العبدي في تشبيه صلابة ناقته بمطرقة الحداد:

فَسَلِّ الهَمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْثٍ عَذَافِرَةٍ كَمِطْرَقَةِ القُيُونِ(١)

وكما قال زهير:

بَثّوا خُيُولَهُمْ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ

كَمَا تَقَاذَفَ ضَرْبُ القَيْنِ بِالشَّرَرِ(٢)

وقول عبدة بن الطبيب:

بِجَسْرَةٍ كَعَلاَةِ القَيْنِ دَوْسَرَةٍ

فِيهَا عَلَى الأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ(٣)

وقول علقمة بن عبدة:

قَدْ عُرِّيَتْ زَمَناً حَتَّى اسْتَطَفَّ لَهَا

كِتْرٌ كَحَافَةِ كِيرِ القَيْنِ مَلْمُومُ(٤)

---

(١) الضبي، المفضليات، ص ٥٨١. العذافرة: الشديدة القوية.

(٢) شرح شعر زهير، ص ٢٣٤.

(٣) الضبي،المفضليات، ص ٢٧٠. الإرقال: مشي فيه سرعة وجَمْز. التبغيل: أرفع من المشي ودون العدو.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٩٣. عريت: أطلقت متروكة ترعى. الكتر: السنام. الحافة: الجانب.

وقول الآخر:

أوقَدَتْ فَوْقَهُ الصَّواعِقُ نَـاراً   ثُمَّ سَاطَتْ بِهِ الذُّعَافَ القُيُونُ(١)

ومن أسماء الحدادين «الهبرقي» ، قال النابغة يصف ثورا:

مُوَلِّيُ الرِّيـــحِ رَوْقَيْهِ وكَلْكَلِـهِ

كَالهِبْرِقِيِّ تَنَحَّى يَنْفُخُ الفَحَمَـــا(٢)

وقال الطرماح في وصف الثور أيضاً:

يُبَرْبِـــرُ بَرْبَـــرَةَ الهِبْرِقِـــيِّ   بِأُخْرَى خَوَاذِلِهَـــا الآنِحَهْ(٣)

فهذه الأصوات المرتفعة المختلطة، هي ما عبر عنها جران العود في قوله عن امرأته:

وَأَنْقَذَنِي مِنْهَا ابْنُ رَوْقٍ وَصَوْتُهَا

كَصَوْتِ عَلاَةِ القَيْنِ صُلْبٌ صَمَيْدَحُ(٤)

فالكير والفحم هما من مستلزمات الحدادة، وقال قيس بن الخطيم:

---

(١) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج٢، ص ١٠٦٧. الذعاف: السم.

(٢) ديوان النابغة، ص ٦٦.

(٣) ديوان الطرماح، تحقيق عزة حسن (دمشق، مط. مديرية إحياء التراث، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ص ٧٩. يبربر: يصوت بالبقرات المتخلفة عنه. بربرة الهبرقي: نفخ الحداد النار في الفحم. خواذلها: بقراته التي تخلفت عنه، خذلته. الآنحة: التي تأنح من الهم والتعب، أي تزفر وتنفخ.

(٤) ديوان جران العود، ص ٧. صميدح: صلب شديد.

وَقَدْ رَدَّ العَزَائِـــمُ فِي طَرِيفٍ   وَأَقْيَـالٍ يَصُوغُونَ الحَدِيــدَا (١)

وقال ذو الرمة:

كَرٌّ يَهُزُّ سِلاَحاً مَا يُقَوِّمُـــهُ   قَيْنٌ بِمِطْرَقَةٍ يَوْماً عَلَى كِيـرِ (٢)

وقال جرير جامعاً تلك الأدوات:

وَأَدْنِ العَـــلاَةَ وَأَدْنِ القَدُومْ   وَوَسِّعْ لِكِيــرِكَ فِي المَقْعَدِ (٣)

كما ذكر عود الثقاب في قوله:

فَذَاكَ وَلاَتُرَمَّـــزُ قَيْنُ لَيْلَى   عَلَى كِيـــرٍ يُثَقِّبُ فِيهِ عُودُ (٤)

وذكر تطاير الشرار إلى جانب الدخان يعلوان الحداد:

رَجَفَ المُقِرُّ وَصَــاحَ فِي شِرْقِيِّه

قَيْنٌ عَلَيْــهِ دَوَاخِنٌ وَشَــــرَارُ (٥)

ومن أطرف الصور التي رسمها جرير للحداد، أصطباغ هيئة الحداد بالدخان وصدأ الحديد لطول ملازمته لمهنته، وتشخيص حالته في قوله:

لَمَّا رَأَتْ صَدَأَ الحَدِيدِ بِجِلْدِهِ   فَاللَّوْنُ أَوْرَقُ وَالبَنَانُ قِصَـارُ (٦)

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم، ص ١٤٨.

(٢) ديوان ذي الرمة، ج٣، ص ١٨٢٤.

(٣) ديوان جرير، ص ١٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٢. المقر: جبل بكاظمة فيه قبر غالب.

(٦) المصدر نفسه. الأورق: من الإبل ما ضرب لونه إلى السواد.

ولعل من اللافت للنظر ما لاحظه العرب في القيون من حيث طريقة تعامل القين معهم، حتى ضربوا بذلك المثل فقالوا: «إذا سمعت بسرى القين، فاعلم أنه مصبِّح». فالقين يتنقل في البادية حول مياه العرب، فيقيم بالموضع أياماً، فيكسد عليه عمله، ثم يقول لأهل الماء: إني راحل عنكم الليلة، وإن لم يرد ذلك، ولكنه يشيعه، ليستعمله من يريد استعماله، فكثر ذلك في قوله حتى صار لا يصدق. قال نهشل بن حري ضارباً المثل بذلك:

وَعَهْدُ الغَانيَاتِ كَعَهْدِ قَيْـنٍ ... وَنتْ عَنْهُ الجَعَائِلُ مُسْتَـذَاقِ
كَبَرْقٍ لاَحَ يُعْجِبُ مَـــنْ رَآهُ ... وَلاَ يَشْفِي الحَوائِمَ مِنْ لَمَاقِ(١)

وقد بين الأشهب بن رميلة مكانة القين عندهم، والأعمال التي يجب أن يقوم بها وبعض أدواتها، ومنها الكلبتان (الكلاليب)، فقال:

يَاعَجَبَاً هَلْ يَركَبُ القَيْنُ الفَرَسْ
وَعَرَقُ القَيْنِ عَلَى الخَيْلِ نَجِسْ
وَإنَّمَا أدَاتُـهُ إذَا جَلَـــــسْ
الكَلْبَتَانِ وَالعَلاَةُ وَالقَبَـــسْ(٢)

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج١،ص ٤١. الجعائل: جمع جَعيلة أو جَعالة، وهي الأجر. مستذاق: استذقت فلانا، إذا خبرته فلم تحْمَد مَخْبَرَته. أي إن القين إذا تأخر عنه أجره، فسد حاله مع إخوانه فلا يصل إلى الاجتماع بهم على الشراب ونحوه. اللماق: اليسير من الطعام والشراب.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص ٣١٥. الكلبتان: الآلة التي تكون مع الحدادين. العلاة: السندان. القبس: النار.

الصفـــارون

ويرتبط بمهنة القيون أيضاً الاشتغال بتنظيف أواني الطبخ وتلميعها، قال النابغة:

كَأَنَّ شُوَاظَهُنَّ بِجَانِبَيْـــــهِ   نُحَاسُ الصُّفْرِ تَضْرِبُهُ القُيونُ(١)

وقال الفرزدق:

لَوْ أَنَّ قِدْراً بَكَتْ مِنْ طُولِ مَا حُبِسَتْ
عَلَى الحُقُوفِ بَكَتْ قِدْرُ ابْنِ جَبارِ
ما مسَّهَا دَسَمٌ مُذْ فُضَّ مَعْدِنُهَـــا
وَلا رَأَتْ بَعْدَ عَهْدِ القَيْنِ مِنْ نَـارِ(٢)

صناع السيوف

وهم الذين يشحذون، أو يثقفون السيوف، ويجلون الصدأ عنها، يقول لبيد:

جُنُـــوحَ الهَالِكِيِّ عَلَى يَدَيْـهِ   مُكِبًّا يَجْتَلي نُقَبَ النِّصَـــالِ(٣)

ويقال إن الهالكي نسبة إلى الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة الذي يزعم أنه أول من عمل الحديد، أو لأن الحداد يتهالك على الحديد إذا جلاه(٤):

---

(١) ديوان النابغة، ص ٢٢١.

(٢) ديوان الفرزدق، ج١، ص ٣٢٦.

(٣) ديوان لبيد، ص ٧٨. جنوح الهالكي: إكباب الصيقل وميله وانحرافه على يديه. النقب: الصدأ، جمع نقبة، أي يجلوا ألوانها.

(٤) ديوان الحطيئة، ص ٣١٨.

وهم «الصياقل» الذين يصقلون السيوف. يقول مزرد:

حُسَامٌ خَفِيُّ الجَرْسِ عِنْدَ اسْتِلالِه
صَفِيحَتُهُ مِمَّا تَنَقَّى الصَّيَاقِــلُ(١)

وقال أبو الطمحان القيفي، واصفاً ثوراً، وذاكراً المسن الذي تشحذ عليه تلك السيوف:

تَهَادَى عَلَى نِيٍّ فَجَـالَ كَأَنَّــهُ
حُسَامٌ جَلاَ عَنهُ مِسَنُّ الصَّيَاقِلِ(٢)

وقال خفافة بن ندبة:

جَلاَهَا الصَّيْقَلُونَ فَأَخْلَصُوهَا فَجَاءَتْ كُلُّها يَتْقِي بِأَثْــرِ(٣)

الصاغـــة

ومن لوازم الصياغة - صياغة الذهب- استعمال الكير والفحم، وهي مهنة متداخلة مع الصناعات السابقة، يقول عمرو ابن كلثوم:

وَأَجْدَرْنَا أَنْ يَنْفُخَ الكِيرَ خَالُــهُ
يَصُوغُ القُرُوطَ وَالشُّنُـوف بِيَثْرِبَا(٤)

(١) المفضليات، ص ١٧٦.

(٢) يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة (بيروت، مؤسسة الرسالة ط. أولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ص ٢١٣.

(٣) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج٢، ص ١٠٧٨.

(٤) ديوان عمرو بن كلثوم، فرينس كرنكو، مجلة المشرق س ٢٠، ع٧، تموز ١٩٢٢م) ص ٥٩٤.

وكان الصاغة يتخذون مساعدين لهم هم «التلاميذ»، قال لبيد:

فَالْمَاءُ يَجْلُو مُتُونَهُنَّ كَمَا   يَجْلُو التَّلَامِيذُ لُؤْلُؤاً قَشِبَا (١)

وقد ذكرهم الطرماح فقال يصف البقرة الوحشية:

تتقي الشمس بمَدْرِيَّة   كَالحَمَالِيجِ بِأَيْدِي التَّلَامِي (٢)

وقد أعطانا ابن أحمر صورة لمعالجة الصائغ اللؤلؤ، كما بين لنا مدى حرصه عليه، مستخدماً صفة «الهبرقي» أي الحداد له، فقال:

فَمَا أَلْوَاحُ دُرَّةِ هِبْرِقِيٍّ   جَلاَ عَنْهَا مُخَتَّمُهَا الكُنُونَا

فَأَشْرَطَ نَفْسَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا   وَكَانَ بِنَفْسِهِ حَجِئاً ضَنِينَا (٣)

وإذا كانت وظيفة القين بصفة عامة هي استخدام الفحم والكير، فإن هناك صناعات أخرى اشتغل بها غير العرب، ويخضع لما خضعت إليه المهن الأخرى، وهو استعمال الآلة التي يأنف العربي من ممارستها ويقوم بها آخرون عنهم.

(١) ديوان لبيد، ص ٣١.

(٢) اللسان، «تلم». الحماليج: منافخ الصاغة الحديدية الطوال، واحدها حملوج.

(٣) شعر عمرو بن أحمر الباهلي، تحقيق حسين عطوان (دمشق، مجمع اللغة العربية ب.ت)، ص ١٦٠. أشرط نفسه: أعلمها. عليها: على الدرة حجئا: حجىء بالشيء، وهو به حجيء، أي مولع به متمسك.

الحاكة والنساجون

يقول جرير:

فَتُوْخَذُ مِنْ عِنْدِ البَعيثِ ضَرِيبَةٌ
وَيُتْرَكُ نَسَّاجاً بِدارِينَ مُسْلِمَا (١)

ويقول الفرزدق:

وأَفْلَتَ حَوَّاكُ اليَمَانِينَ بَعْدَمَا
رَأَى الخَيْلَ تَرْدِي مِنْ كُمَيْتٍ وَأَشْقَرَا (٢)

وخشبة الحائك نسجه هي الصياصي، قال دريد بن الصمة:

فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ
كَوَقْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ المُمَدَّدِ (٣)

الندافون

ندافو القطن. ومن ذلك وصف أبي النجم لعرق الخيل بكرسف النداف أي قطنه:

كَأَنَّهُ مِنْ عَرَقٍ يُسَرْبِلُهُ   كَكُرْسُفِ النَّدَافِ لَوْلاَ بَلَلُهْ (٤)

---

(١) ديوان جرير، ص ٥٤٤.
(٢) ديوان الفرزدق، ج١، ص ٢٤١.
(٣) المرزوقي، الحماسة، ج٢، ص ٨١٦. وانظر اللسان: «سكف».
(٤) ابن رشيق، العمدة، ج٢، ص ٥٤. الكرسف: القطن.

الإسكاف وهو النجار

قال أحدهم:

وَشُعْبَتا مَيْسٍ بَرَاهَا إِسْكَافْ(١).

وقال زيادة بن زيد العذري مشيرا إلى استعمال المسامير:

قَوْمٌ إِذَا غَضِبُوا دُقَّتَ أُنُوفُهُمْ دَقَّ المُضَبِّبِ أَسْتَاهَ المَسَامِيرِ(٢)

البياطرة

لأنهم أيضاً يستخدمون آلة في معالجتهم الحيوانات، قال حميد بن الأرقط:

وَلَمْ يُقَلِّبْ أَرْضَهَا البَيْطَارُ وَلاَ لِحَبْلَيْهِ بِهَا حَبَارُ(٣)

وقال الأخر:

أَيَدُ القَصْرَيَيْنِ مَاقِيدَ يَوْماً فَيُعْنَى لِصَرْعِهِ البَيْطَارُ(٤)

وكان البيطار يستخدم راية يعلم بها نفسه، قال العرجي:

كَرَايَةِ بَيْطَارٍ بِأَعْلَى حَدِيدَةٍ

إِذَا نُصِبَتَ لَمْ تَكْسَبِ الحَمْدَ بِالنَّصْبِ(٥)

---

(١) المرزوقي، الحماسة، ج٤، ١٦٣٩. الميس: خشبة الرحل.

(٢) أبو تمام، الوحشيات، ص ٢١٧.

(٣) التاج، «حبر». الحبار: الأثر.

(٤) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج١، ص ١٥٥. القصريان: القصرى هي الضلع القصيرة مما يلي الصدر، أو هي ضلع الخلف في آخر الأضلاع.

(٥) ديوان العرجي، تحقيق خضر الطائي (و) رشيد العبدي (بغداد، مطبعة الشام الإسلامية، ط أولى، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م)، ص ١٧٦.

الخــــرازون

قال بشر بن أبي خازم يصف عروق الأرطى وقد كشفها الثور:

يُثيرُ وَيُبْدِي عَنْ عُرُوقٍ كَأَنَّهَا أَعِنَّةُ خَرَّازٍ تُخَطُّ وَتُنْشَــــرُ(١)

وقال ابن مفرغ:

سَبَقَ عَبَّــادٌ وَصَلَّتْ لِحْيَتُهْ وكَانَ خَــرَّازاً تَجُودُ قِرْبَتُهْ(٢)

وقال الشماخ واصفا خرز (سرد) العنان:

فَظَلَّتْ تِباعاً خَيْلُنَا فِي بُيُوتِكُمْ

كَمَا تَابَعَتْ سرد العِنَانِ الخَوَارِزُ(٣)

القصابــون

وهم كذلك ممن يستخدم آلة للنحر والسلخ، إذ كل من استخدم آلة فهو قين عند العرب، قال عبدالله الحواليُّ:

دَعَونَا لَهَا قَيْنَاً رَفِيقاً بِمُدْيَةٍ يُجزِّئُهَا فِينَا كَمَا يُجزَّأُ النَّهْبُ(٤)

ويطلق عليهم أيضاً «القرارى» قال:

وداويٍّ سَلَخْنَا اللَّيْــلَ عَنْــهُ كَمَا سَلَخَ القَرَارِيُّ الإِهَابَــا(٥)

---

(١) ديوان بشر بن أبي خارم، تحقيق عزة حسن (دمشق مط. مديرية إحياء التراث، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م)، ص ٨٣.

(٢) ديوان ابن مفرع، ص ٨٥.

(٣) القرطبي، الجامع، م٧، ج١٤، ص ٢٦٨.

(٤) المرزوقي، الحماسة، ج٤، ص ١٦٣٩.

(٥) التاج، «قرر».

وقال ابن رميض العنبري:

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْـلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ   لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلاَ غَنَـمْ

ولا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ الوَضَمْ(١)

(١) المرزوقي، الحماسة، ج١، ص ٣٥٥.

الفصل الثالث

التجارة والزراعة والملاحة والبناء والرعي

التجارة

الصيارفة

قال أبو زبيد في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه يذكر حفر قبره بالمسحاة، والقيسات: هي الدراهم:

لَهَا صَوَاهِلُ فِي صُمِّ السِّلَامِ كَمَا
صَاحَ القَسِيَّاتُ فِي أَيدِي الصَّيَارِيفِ(١)

الزراعة

الفلاحون

لم يخل الشعر القديم من تمجيد للزراعة ووصف لها، وقد احتلت النخلة مكاناً بارزاً فيه. فمن أمثلة ذلك قول زهير بن أبي سلمى يصف ناقة صلبة تجذب الماء من البئر لتسقي نخيلاً، وخلفها سائق لا يفتر عن حثها عن العمل ثم يسكب الماء في جداول تسقي ذلك النخل:

كَأَنَّ عَيْنَيَّ فِي غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ
مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً سُحُقَا
تَمْطُو الرِّشَاءَ وَتَجْرِي فِي ثِنَايَتِهَا
مِنَ المَحَالَةِ ثُقَباً رَائِداً قَلِقَا

(١) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج٢، ص ١٢٠٤.

لَهَـا أداةٌ وَأعوانٌ غدَونَ لهَـــــا
قَتْـبٌ وَغَرْبٌ إِذَا مَا أُفرِغَ انسَحَقَا
وَخَلْفَهَا سَائِقٌ يَحْدُو إِذَا خَشِيَـــتْ
مِنْهُ العَـذَابَ تَمُدُّ الصُّلْبَ وَالعُنُقَـا
وَقَابِــلٌ يَتَغَنَّى كُلَّمَا قَـــــدَرَتْ
عَلَى العَرَاقِي يَدَاهُ قَائِماً دَفَقَـــا
يُحِيلُ فِي جَدْوَلٍ تَحْبُو ضَفَادِعُـــه
حَبْوَ الجَوَارِي تَرَى فِي مَائِهِ نُطُقَا
يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَــاتٍ مَاؤُهَا طَحِـلٌ
عَلَى الجُذُوعِ يَخَفْنَ الغَمَّ وَالغَرَقَـا (١)

ثم هنالك أبيات حسان بن ثابت الذي يفخر بكثرة ما يمتلكون من نخيل في قوله:

لَنَا حَرَّةٌ مَأطُـورَةٌ بِجِبَالِهَـــــا
بَنَى المَجْدُ فِيهَا بَيْتَهُ فَتَأهَّــــلا
بِهَا النَّخْلُ وَالآطَامُ تَجْرِي خِلالَهَــا
جَدَاوِلُ قَدْ تَعْلُو رِقَاقاً وَجَـــرْوَلا
إِذَا جَدْوَلٌ مِنْهَا تَصَرَّمَ مَــــاؤُهُ
وَصَلْنَا إِلَيْهِ بِالنَّوَاضِحِ جَــدْوَلا

(١) شرح شعر زهير، ص ص ٤١-٤٤. الغربان: الدلوان الضخمان- المقتلة: المذللة، يعني الناقة. سحقا: أي النخل الذي ذهبت جدته. تمطو: تمد. الرشاء: الحبل. الثناية: الحبل الذي قد أوثق طرفه بقتب الناقة، والطرف الآخر في الغرب. المحالة: البكرة. رائدا: الذي يجيء ويذهب. شربات: جمع شربة، وهي الحياض تحفر في أصول النخل من شق واحد. طحل: كدر. النواضح: يقال نضح الرجل ينضح نضحا، إذا استقى على الناضح، وهو البعير.

عَلَى كُلِّ مِفْهَاقٍ خَسِيفٍ غُرُوبُهَا

تُفَرِّغُ فِي حَوْضٍ مِنَ الصَّخْرِ أَنْجَلا

لَـهُ غِلَلٌ فِي ظِلِّ كُلِّ حَدِيقَـةٍ

يُعَارِضُ يُعْبُوباً مِنَ المَاءِ سَلْسَلا (١)

ولقد كان الأنصار حقا يعرفون بالزراعة: «الغارسون للنخل»(٢). ومع ذلك فإن القيمة العليا كانت تسند للفروسية، قال حجر بن عقبة:

وَلَسْتُ أَجْعَلُ مَالِي فَرْعَ دَالِيَـةٍ

فِي رَأْسِ جِذْعٍ تُحِيلُ المَاءَ فِي الطِّينِ

بَنَاتُ أَعْوَجَ تَرْدِي فِي أَعِنَّتِهَـا

خَيْرٌ خَرَاجاً مِنَ التُّفَّاحِ وَالتِّـينِ (٣)

وقد وضح جرير أن الفلاحة ليست للعربي، وإنما لغيره في قوله:

أَبْنَـاءُ نَخْـلٍ وَحِيطَانٍ وَمَزْرَعَـةٍ

سُيُوفُهُـم خَشَبٌ فِيهَا مَسَاحِيهَـا

قَطْعُ الدَّبَـارِ وَأَبْرُ النَّخْلِ عَادَتُهُمْ

قِدْمـاً فَمَا جَـاوَزَتْ هَـذَا مَسَاعِيهَا (٤)

---

(١) ديوان حسان، ج١، ص ٤٥. الحرة: الأرض ذات الحجارة السود. المأطورة: التي حدّقت بها الجبال. النواضح: الإبل التي يستقى عليها. المفهاق: البئر الكثيرة الماء. الخسيف: البئر التي خُسف جبلها. الأنجل: الواسع القلل: الماء الجاري، يجري تحت النخل. اليعبوب: النهر الجاري.

(٢) القالي، الأمالي، ج٢، ص ٣١٦.

(٣) أبو تمام، الوحشيات، ص ٨٢.

(٤) ديوان جرير، ص ٦٠٠.

وقال:

الضَّارِبو النَّخْـلَ لاَتَنْبُو مَنَاجِلُهُـمْ
عَنِ العُذُوقِ ولاَ يُعْيِيهِمُ الكَـرَبُ(١)

ومن ثم قال أبو محجن:

قَـدْ كُنْـتُ أُحْسَبُنِي كَأَغْنَى وَاحِـدٍ
وَرَدَ المَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَـةِ فُـولِ(٢)

ومن هنا، فإنه يبدو أن الفلاحة كانت تسند إلى غير العرب، وأن العرب كانوا مالكين للأرض والغلة. قال طرفة مبيناً النوعين: المالك والفلاح:

وَلِيَ الأَصْـلُ الَّذِي فِي مِثْلِهِ   يُصْلِحُ الآبِرُ زَرْعَ المُؤْتَبِـرْ(٣)

ومهما يكن، فقد وصف الشعراء بعض أوضاع الفلاحين، مثل قول النمر بن تولب:

تَسْمَعُ لِلطَّـيْرِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلاً
كَأَنَّ أَصْوَاتَهَـا أَصْـوَاتُ جُـرَّامِ(٤)

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٢) أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري، ديوان أبي محجن الثقفي، تحقيق صلاح الدين المنجد (بيروت، دار الكتاب الجديد، ط أولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م)، ص ٥٣.

(٣) ديوان طرفة، ص ٦٣.

(٤) شعر النمر بن تولب، تحقيق نوري حمودي القيسي (بغداد، مط. المعارف ١٩٦٩م)، ص ١١٢.

وقال ثعلبة بن صعير:

يَبْرِي لِرَائِحَةٍ يُساقِطُ رِيشَهَا مَرُّ النَّجَـاءِ سِقَاطَ لِيفِ الآبِرِ(١)

وقال متمم بن نويرة:

كَمَا فَاضَ غَـرْبٌ بَيْنَ أَقْرُنِ قَامَةٍ

يُـرَوِّي دِبَــاراً مَــاؤُهُ وزُرُوعُ(٢)

وقد حدد بعضهم بعض المناطق الزراعيـة مثل قول عـوف بن عطيـة ينسب الفلاحة إلى هجر:

تَشُـقُّ الـحُزَابِيُّ سُـلاَّفُنَـا كَمَا شَقَّقَ الهَاجِـرِيُّ الدِّبَارَا(٣)

بل إن أحد الهجريين أقر بأن سكان المناطق الزراعية أعرف بالمهن الزراعية وليس بركوب الخيل -خاصية العربي-، وذلك عندما طلب منه الملك النعمان أن يركب فرسه اليحموم، فقال:

نَحْـنُ بِغَـرْسِ الوَدِيِّ أَعْلَمُنَــا

مِنَّا بِرَكْضِ الجِيَــادِ فِي السُّلُفِ(٤)

ومن المناطق الزراعية خيبر، قال القائل:

كَأَنَّ الـمَشْرَفِيَّــةَ تَخْتَلِيهِمْ مَخَالِبُ خَيْبَرٍ بَعْدَ الجِـدَادِ(٥)

---

(١) المفضليات، ص ٢٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٤٤.

(٤) العسكري، جمهرة الأمثال، ج٢، ص ٣٣١.

(٥) الضبي، المفضليات، ص ٨٥٨.

الملاحة والبناء

الملاحون

إذا كانت الفلاحة لغير العرب، فإنه من المتوقع، حقاً، أن تكن الملاحة أيضا مما يشتغل فيه غيرهم، فهذا يزيد بن خذاق يقول:

أَلاَ ابْنَ المُعَلَّى خِلْتَنَا وحَسِبْتَنَا
صَرَارِيَّ نُعْطِي المَاكِسِينَ مُكُوسَا(١)

وقد هجا الفرزدق المهلب بن أبي صفرة بالاشتغال بالملاحة، لأن أصلهم من أزد عمان، فقال:

صَرَارِيُّونَ يَنْضَحُ فِي لِحَاهُمْ نَفِيُّ المَاءِ مِنْ خَشَبٍ وَقَارِ(١)

وقال له أيضاً:

لَلسُّفْنُ أَهْوَنُ بَأْساً إِذْ تَقُودُهَا
فِي المَاءِ مَطْلِيَّةَ الأَلْوَاحِ بِالقِيرِ
وَهُمْ قِيَامٌ بِأَيْدِيهِمْ مَجَادِفُهُم
مُنَطَّقِينَ عُرَاةً فِي الدَّقَارِيرِ(٢)

وقال له أيضاً:

كَمْ لَكَ يَا بْنَ دَحْمَةَ مِنْ قَرِيبٍ مَعَ التُّبَّانِ يُنْسَبُ وَالزِّيَارِ

(١) المصدر نفسه، ص ٦٠٠، وهو يريد ألا ابن المعلى. وفي رواية: «أكا ابن المعلى».

(١) ديوان الفرزدق، ج١، ص ٢٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٥. الدقارير: جمع دقرور: وهو التبان الذي يلبسه النوتية، والتبان: سروال قصير يلبسه الملاحون. الزيار: حبل السفينة الضخم. الختار: حبل رقيق.

يَظَلُّ يُدَافِعُ الأَقْلاَعَ مِنهَـــا   بِمُلْتَزَمِ السُّفِينَةِ وَالحِتَـــارِ
إذَا نُسِبَتْ عُمَانُ وَجَدْتَ فِيهَا   مَذَاهِبَ لِلسُّفِينِ وَلِلصُّـــرَارِي(١)

البنـــاؤون

وإذا كانت الفلاحة والملاحة ليستا من المهن التي كان العربي يمارسها أصلا، وكان يعدها أكثر لياقة بغيره، فإن أعمال البناء أيضاً هي من الأعمال التي يمكن أن يفترض أن يقوم بها أولئك، كما قال زهير:

وَكَأَنَّهَـا إذْ قُرِّبَتْ لِقُتُودِهَـا   فَدَنٌ تُطِيفُ بِهِ البُنَـاةُ مُبَوَّبُ(٢)

الرعـــاة

ولتأكيد أن الحرف الثانوية كانت تناط بغير العرب، كما أشرنا سابقاً، فانهم كانوا يتخذون الرعيان لرعي إبلهم وماشيتهم، ولذلك قال ذو الأصبع:

عَنِّي إلَيْكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَـــةٍ
تَرْعَى المَخَاضَ وَمَا رَأْيِي بِمَغْبُونِ(٣)

وقال بشامة بن عمرو:

تَطَــرَّدُ أَطْرَافَ عَامٍ خَصِيبٍ   وَلَمْ يُشْلِ عَبْدٌ إلَيهَا فَصِيلاً(٤)

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٣٠.
(٢) شرح شعر زهير، ص ٢٧٦.
(٣) الضبي، المفضليات، ص ٣٢٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ٨٣. يشل: أشليت الشاة والناقة، إذا دعوتهما بأسمائهما لتحلبهما.

وقال أبو ذؤيب:

صَخِبُ الشَّوَارِبِ لاَيَزَالُ كَأَنَّهُ عَبْدٌ لآلِ أَبِي رَبِيعَةَ مُسْبَعُ(١)

والرعيان غالبا ما يكونون من السود (أطلس- أي أسود)، وأثوابهم رثة ممزقة (قد تسررا)، يقول الجعدي:

كِلاَ رَاعِيَيْهَا أَطْلَسُ اللَّوْنِ ثَوْبُهُ
عَنُودَانِ مِنْ كِنَانَةٍ قَدْ تَسَرُّرَا(٢)

وقال الراعي، في صورة دقيقة تعيدنا إلى صورة الأحباش السابقة:

لاَيَسْمَعُ الحَبَشِيُّ وَسْطَ عِرَاكِهَا
صَوْتاً إِذَا مَا العَبْدُ أَوْرَدَ مَنْهَلاً
إِلاَّ تَجَاوُبَهُنَّ حَوْلَ سَوَادِهِ
بِحَنَاجِرٍ فُحٍّ وَشِدْقٍ أَهْدَلاَ
وَلَقَدْ تَرَى الحَبَشِيَّ وَهْوَ يَصُكُّهَا
أَشِراً إِذَا مَا نَالَ يَوْماً مَأْكَلاَ
يُرْمَدُ مِنْ حَذَرِ الخِلاَطِ كَمَا ازْدَهَتْ
رِيحٌ يُمَانِيَةٌ ظَلِيماً مُجْفِلاَ(٣)

ومن الواضح أن الاشتغال برعي المعز، كان مما يحط من قدر القبيلة عندهم،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨٥٨.

(٢) ديوان الجعدي، ص ٥٠. تسرر: تشقق ثوبه.

(١) ديوان الراعي، ص ١٧٧. النحيح: صوت يردده الرجل في جوفه. الهدل في الشفة: عظمها واسترخاؤها وذلك للبعير. الأشر: المرح. الخلاط: اختلاط الإبل والناس والمواشي.

وذلك إذا ما كان ذلك الاشتغال حرفة، وليس مثلما يقال: «كان يرعى الغنم لأهله»، أي هم ينظرون إلى ذلك نظرتهم إلى العبيد الذين يمارسون تلك المهنة؛ فهذا عوض بن الأحوص يعير بني صريم أنهم أصحاب شاء، وليسوا أصحاب خيل وإبل، فقال:

تَسُوقُ صُرَيْمٌ شَاءَهَا مِنْ جُلَاجِلٍ
إِلَيَّ وَدُونِي ذَاتُ كَهْفٍ وَقُورُهَا (١)

أي كيف بهؤلاء يأتون لحربي، وهم أصحاب شاء، ليسوا بأصحاب خيل أوإبل، فهو يقول: يحملني بالهجاء على أن أهجوها، وأذكرها واصفاً أنهم كذلك.

وقد مر بنا قول الممزق ينفي عن لكيز أن تأتي المواسم بالشاء والسمن للبيع، أي لم يكن لكيز ممن يتجر في السمن، ولكنهم تجار بالقنا والسيوف:

وَأَنَّ لُكَيْزاً لَمْ تَكُنْ رَبَّ عُكَّةٍ … لَدُنْ صَرَّحَتْ حُجَّاجُهُمْ فَتَفَرَّقُوا

فالاشتغال برعي المعز، بوصفها حرفة واحترافا، ليست مهنة الأحرار، وهذا واضح في قول عمرو بن هميل:

لَدَى سَوْدَاءَ عَارٍ مِعْصَمَاهَا … سَرَعْرَعَةٌ لَهَا نَعَمٌ مُصِيتُ (٢)

---

(١) المفضليات، ص ٣٥١.

(٢) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج٢، ص ٨٢١. المعصم: موضع السوار، عار من اللحم. سرعرعة: خفيفة. مصيت: له صوت.

ولهذا قال الحطيئة أيضاً:

أَقِيمُوا عَلَى المِعْزَى بِدَارِ أَبِيكُـــمُ

تَسُوفُ الشَّمَالُ بَيْنَ صَبْحَى وطَالِقِ(١)

كما قال جرير يهجو الأعور النبهاني، ويعيره امتلاك الأغنام:

تَرَى شَرَطَ المِعْزَى مُهُورَ نِسَائِهِمْ

وَفِي قَزَمِ المِعْزَى لَهُنُّ مُهُـــــورُ(٢)

وهو هنا أيضاً يعبر عن فخر العرب بامتلاك النوق، وتحقيرهم غيرهم بامتلاك المعز:

وتتضح الفكرة بجلاء شديد في قول جرير بن عَرارة في ثقيف:

وَلَكِنَّكُمْ رِعْيَـانُ بَهْـمٍ وَثُلَّـــــةٍ

تَرُدُّونَ لِلمِعْزَى بُطُونَ المَسَايِـــلِ

إِذَا الخَيْلُ أَلْوَتْ بِالنِّهَابِ فَزِعْتُمُ

إِلَى حُفَّلِ الضَّرَّاتِ قُمْرِ الجَحَافِـلِ(٣)

---

(١) ديوان الحطيئة، ص ٣١٤. صبحى: تصبح في المرعى. طالق: تنطلق إلى الماء. تسوف: تشم.

(٢) ديوان جرير، ص ٢٦٦. شرط المال: أخسه. قزم المعزى: الصغار.

(٣) أبو عبيدة معمر بن المثنى، نقائض جرير والفرزدق، تحقيق إ-إ- بيفان (ليدن، مط. بريل، ١٩٠٥م) ج١، ص ٣٧٠.

الباب الرابع

مهن النســـاء

استغفر الله

الفصل الأول

الأعمال المنزلية

وكما ألصق العربي المهن السابقة بغير العربي، ألصق كذلك مهنا أخرى خاصة بالنساء غير العربيات. وكان يطلق على أولئك اسم «الإماء»، ومن أعمالهن:

الاحتطاب

قال الأخنس بن شهاب التغلبي:

تَظَلُّ بِهَا رُبْدُ النَّعَامِ كَأَنَّهَا ... إِمَاءٌ تُزَجَّى بِالعَشِيِّ حَوَاطِبُ(١)

وقال ابن مقبل:

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا

جَزْلَ الجِذَا غَيْرَ خَوَارٍ وَلاَ دَعِرِ(٢)

وقال عميرة بن جعيل:

وَغَيْرُ حَطُوبَاتِ الوَلاَئِدِ ذَعْذَعَتْ

بِهَا الرِّيحُ وَالأَمْطَارُ كُلُّ مَكَانِ(٣)

---

(١) الضبي، المفضليات، ص ٤١١.

(٢) التاج، «جذو». الجذوة: العود الغليظ يؤخذ فيه النار.

(١) الضبي، المفضليات، ص ٥٢٠.

وقال النابغة:

تَحِيدُ عَنْ أَسْتَنٍ سُودٍ أَسَافِلُــــــهُ
مَشْيَ الإِمَاءِ الغَوَادِي تَحْمِلُ الحِزَمَا (١)

وقال قيس بن الخطيم:

أَصَابَتْ سَرَاةَ الأَغَرِّ سُيُوفُنَــــــا
وَغُودِرَ أَوْلَادُ الإِمَاءِ الحَوَاطِــــبِ (٢)

الطبـــــخ

قال عمرو بن قميئة:

وَرَأَيْتُ الإِمَاءَ كَالجِعْثِنِ البَـا   لِي عُكُوفاً عَلَى قُرَارَةِ قِـدْرِ (٣)

وقال طرفة:

فَظَلَّ الإِمَاءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَهَــــا
وَيُسْعَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ المُسَرْهَدِ (٤)

---

(١) ديوان النابغة، ص ٦٥. تحيد: أي تعدل هذه النُّحوص أو هذه الناقة، وتنفر من هذا الشجر. الأستن: شجر أسود وجمعه أستنة.

(٢) ديوان قيس بن الخطيم، ص ٩١.

(٣) ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق جيمز لايل (كمبردج، مط. جامعة كمبردج، ١٩١٩م)، ص ٦٦. الجعثن: أرومة الشجر.

(٤) ديوان طرفة، ص ٤٥. السديف: قطع السنام، المسرهد: السمين أو المقطع قطعاً.

وقال طرفة أيضاً:

تَبِيتُ إِمَاءُ الحَيِّ تَطْهِي قُدُورَنَــــا
وَيَأْوِي إِلَيْنَا الأَشْعَثُ المُتَعَجرِف (١)

وقال عمرو بن أحمر الباهلي:

وَدُهْمٍ تُصَادِيهَا الوَلائِدُ جِلَّةٍ إِذَا جَهِلَتْ أَجْوَافُهَا لَمْ تَحَلَّمِ (٢)

وقول عبيد بن أيوب العنبري:

وَيَوْماً كَتَنُّــورِ الإِمَاءِ سَجَرْتُــهُ
حَمَلْنَ عَلَيْهِ الجِذْلَ حَتَّى تَأَجَّمَــا (٣)

نصب الخيــــام

قال النابغة، وهو يتحدث عن الأطلال وما بقي منها من دمن، يشبههما، بعدما عفي عليها الدهر، بفعل الوليدة حين كانت تنصب الخيام:

رَدَّتْ عَلَيهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّــــدَهُ
ضَرْبُ الوَلِيدَةِ بِالمِسْحَاةِ فِي الثَّأَدِ (٤)

---

(1) المصدر نفسه، ص ١٣١. الأشعث: الذي تشعث للجدب والهزال. يأوي: يركن إلينا ويعتمد علينا. المتعجرف: الذي جرفت السنون ماله، أي أذهبته.

(٢) شعر ابن أحمر، ص ١٤٩.

(٣) اللسان، «أجم».

(٤) ديون النابغة، ص ١٥. ردت: أي ردت الأمة على النؤي ما تباعد من ترابه وشذ منه، لئلا يصل إليهم الماء. الثأد: المكان الندي.

وقال زهير بن مسعود الضبي:

وَمِثْلَمَا رَفَعَ القِيَانُ لَهُ عَضُدَيْهِ حَوْلَ البَيْتِ بِالفَأْسِ(١)

وهن يسوين حوض الماء حول الخيام، قال الجعدي مشيراً إلى استخدامهن السخاخين، المسحاة في قول النابغة السابق:

وَنُؤْيٍ كَأَخْلاَقِ النَّضِيحِ تَعَاوَرَتْ

عَلَيْهِ القِيَانُ بِالسُّخَاخِينِ يُضْرَبُ(٢)

خدمة الركب

قال زهير:

رَدَّ القِيَانُ جِمَالَ الحَيِّ فَاحْتَمَلُوا

إِلَى الظَّهِيرَةِ أَمْرٌ بَيْنَهُمْ لَبِكُ(٣)

وقال علقمة بن عبدة:

رَدَّ الإِمَاءُ جِمَالَ الحَيِّ فَاحْتَمَلُوا

فَكُلُّهَا بِالتَّزِيدِيَّاتِ مَعْكُومُ(٤)

وقد بين أبو ذؤيب الهذلي صورة الإماء اللاتي جلسن دون عمل، فشبه ما تهدم من حال البئر بهيئتهن في الجلوس:

---

(١) الجبوري، قصائد جاهلية نادرة، ص ٨٧.

(٢) ديوان الجعدي، ص ٦.

(٣) ديوان زهير، ص ١٢٧. اللبك: المختلط.

(٤) الضبي، المفضليات، ص ٧٨٩. التزيديات: ثياب منسوبة إلى تَزِيدَ من قضاعة. المعكوم: المشدود بالعِكْم وهو العِدْل.

وَقَدْ أَرْسَلُوا فُرَّاطَهُمْ فَتَأَثَّلُــــوا
قَلِيباً سَفَاهَا كَالإمَاءِ القَوَاعِـــدِ(١)

وقال المرقش الأكبر مبينا أن الحرائر ينزلن في راحة وهدوء تحت رعاية خدمهن حتى لايلحقهن التعب:

فَلَمَّا تَبَنَّى الحَيُّ جِئْنَ إِلَيْهِـــمُ
فَكَأَنَ النُّزُولُ فِي حُجُورِ النَّوَاصِفِ(٢)

أما العربيات، فلا يمارسن شيئاً من ذلك، كما قال أحدهم:

مِنَ البيضِ لَمْ تُصْطَدْ عَلَى ظَهْرِ لأْمَةٍ
وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الحَيِّ بِالحَطَبِ الرَّطْبِ(٣)

فالحرائر، إذن، كن لا يقمن بالاحتطاب، ولا يسقين الحمير التي تحمل ذلك الحطب، قال الآخر:

لَمْ تَدْرِ مَاسَا لِلْحَمِيرِ وَلَــمْ   تَضْرِبْ بِكَفٍّ مُخَابِطَ السَّلَمِ(٤)

أي لم تقل سَأْسَأْ للحمار، أي لم تسق الحمار فتقول له ذلك.

---

(١) السكري، شرح أشعار هذيل، ج١، ص ١٩٢. الفراط: القوم المتقدمون. تأثلوا: اتخذوا. سفاها: ترابها.

(٢) الضبي، المفضليات، ص ٤٧٥.

(٣) القرطبي، الجامع، م١٠، ج٢٠، ص ٢٣٩. وانظر اللسان: «حطب».

(٤) اللسان، «سأسأ». التاج، «سأسأ». السلم: شجر من العضاه، ورقها القَرَظ الذي يُدبغ به الأديم. مخابط: من خبط الشجرة بالعصا. ولم ينون كف، ضرورة.

وقد بين الفرزدق صفة الخدم وصفة الحرائر، فالخدم سود قصيرات، والسواد والقصر، من الصفات التي ألصقت بالأحباش، وهن يعملن منذ الصباح، أما الحرائر، فمنعمات ينمن إلى الضحى في برد وظلال.

إذَا القَنْبُضَاتُ السُّودُ طَوَّفْنَ بِالضُّحَى
رَقَدْنَ عَلَيْهِنَّ الحِجَالُ المُسَجَّفُ(١)

(١) ديوان الفرزدق، ج٢، ص ٢٤. القنبضات: جمع قنبضة، أي القصيرة. الحجال: جمع حجلة وهي ستر يضرب للمرأة في البيت. المسجف: الذي أرخي عليه سجفان: وهما سترا باب الحجلة.

الفصـــل الثاني

التجارة

البغـــــاء

لقد نسب العرب في الجاهلية البغاء إلى الإماء، ومن هنا قالت هند بنت عتبة للنبي صلى الله عليه وسلم حين بايعته: «وهل تزني الحرة»(١)، كما كانوا يكرهونهن على البغاء، قال تعالى: (ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء)(٢). ومن هنا فالبغايا من الأجنبيات. قال الحارث بن حلزة:

وَبِالسَّبِيــكِ الصُّفْرِ يُضْعِفُهَا   وَبِالبَغَايَـــا البِيضِ وَاللُّعْسِ(٣)

وقا الأعشى يذكر أن اللاتي يوهبن هن البغايا، لأن الحرة لا توهب:

وَالبَغَايَــا يَرْكُضْنَ أَكْسِيَةَ الإِضْـ
ـرِيجِ وَالشَّرْعَبِيَّ ذَا الأَذْيَـــالِ(٤)

وقال عامر بن الظَّرب العدواني:

وَتَرَكْتُ شُرْبَ الرَّاحِ وَهْيَ أَثِيـرَةٌ
وَالمُومِسَاتِ وَتَرْكُ ذَلِكَ أَشْرَفُ(٥)

---

(١) القرطبي، الجامع، م٣، ج٥، ص ١٢٠.

(٢) القرآن الكريم، سورة «النور» آية ٣٣.

(٣) الضبي، المفضليات، ص ٢٦٦.

(٤) ديوان الأعشى، ص ٩. وانظر التاج، «بغى». الإضريج: الحرير الأصفر. الشرعبي: الحرير الأحمر. ذا الأذيال: الطويل الذي تجره وراءها حين تمشي.

(٥) أبو جعفر محمد بن حبيب، المحبر، تحقيق أيلزه ليختن شتيتر (بيروت، المكتب التجاري ب.ت)، ص ٢٤٠.

وقال حسان:

فَأَشْهَدُ أَنَّ أُمَّكَ مِلْبَغَايَا … وَأَنَّ أَبَاكَ مِنْ شَرِّ العِبَادِ(١)

وقال الكميت يهجو بجيلة وقضاعة (الأنثيين):

فَيَا عَجَباً لِلأُنْثَيَيْنِ تَهَادَيَا

أَذَاتِيَ إِبْرَاقَ البَغَايَا إِلَى الشَّرْبِ(٢)

وقال الآخر:

فَإِنْ أَنْتُمُ لَمْ تَثْأَرُوا وَتُسَوَّدُوا

فَكُونُوا بَغَايَا فِي الأَكُفِّ عِيَابُهَا(٣)

وعندما جاء نعي الرسول ص خرجت بغايا حضرموت فرحة جذلى بذلك النبأ، فقال امرؤ القيس بن عابس الكندي:

شَمِتَ البَغَايَا يَوْمَ أَعْلَنَ جَهْبَلٌ

بِنَعْيِ أَحْمَدَ النَّبِيِّ المُهْتَدِي(٤)

وقال شداد بن مالك بن ضمعج:

أَبْلِغْ أَبَابَكْرٍ إِذَا مَا جِئْتَهُ … أَنَّ البَغَايَا رُمْنَ كُلَّ مَرَامِ(٥)

---

(١) ديوان حسان، ص ٢٥٨.

(٢) التاج، «أنث».

(٣) المصدر نفسه، «سود». العياب، جمع عَيبة، وهي وعاء من أدم، يكون فيها المتاع.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص ١٨٦.

(٥) المصدر نفسه.

وقد بين لنا أحدهم طريقة جذب تلك البغايا للرجال، وهي أنه من شأن البغي أن تومض بعينها وحاجبها فقال:

يُومِضْنَ بِالأَعْيُنِ وَالحَوَاجِبِ   إِيماضَ بَرْقٍ فِي عَمَاءٍ نَاصِبِ(١)

كما أنهن يتصفن بلبس الأردية الحمراء من الصوف، يقول أحدهم:

عليك بربات النمار فإنني
رأيت حميم الموت في النُّقب الصفر(٢)

وفي وصف بالغ الدقة لحالة البغي النفسية، وهي تعبر عن فرط فرحتها بانتقال سيدتها الحرة، لأن ذلك سيتيح لها زبائن جدا عند تغيير المكان، إذ كان الجاهليون يعدون بغاء الأمة أمراً عادياً، وكسبا مقبولاً، تقول دحتنوس:

فَخْرُ البَغِيِّ بِحِدْجِ رَبَّـ   تِهَا إِذَا النَّاسُ اسْتَقَلُّوا
لا رِجْلَهَا حَمَلَتْ وَلاَ   لِرَغَالِ فِيهِ مُسْتَظَلُّ(٣)

---

(١) اللسان، «زمر». العماء: السحاب المرتفع الكثيف.

(٢) الأشنانداني، معاني الشعر، تحقيق عزالدين التنوخي (دمشق، وزارة الثقافة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ص ٢٤٩. يقول: إن كنت فاجراً، فافجر بالإماء.

(٣) اللسان، «رغل».

استغفر الله

استغفر الله

استغفر الله

استغفر الله

الفصـــل الثالث

الصناعة

النســـج

مثلهن مثل الحاكة والنساجين الذكور، قال كعب:

وَلَاحِبٍ كَحَصِيرِ الرَّامِـلَاتِ تَرَى
مِنَ الـمَطِيِّ عَلَى حَافَاتِهِ جِيَفَا (١)

والراملات هن اللواتي يعملن الحصر من لحاء الجريد ويضفرنه بسيور أدم. قال أحدهم:

إِذْ لَا أَزَالُ عَلَى طَرِيـــقٍ لَاحِبٍ
وَكَأَنَّ صَفْحَتَهُ حَصِيـرٌ مُرْمَـــلُ (٢)

وقد أشار كعب إلى ماهرة (صناع) من تلك النواسج فقال:

وَمُسْتَهْلِكٍ يَهْدِي الضَّلُولَ كَأَنَّـهُ
حَصِيرُ صَنَاعٍ بَيْنَ أَيْدِي الرَّوَامِلِ (٣)

وقال مزرد:

وَقَلْقَلْتُهُ حَتَّى كَأَنَّ ضُلُوعَـــــهُ
سَفِيفُ حَصِيرٍ فَرَّجَتْـهُ الرَّوَامِـلُ (٢)

(١) ديوان كعب، ص ٧٣. اللاحب: الطريق البين الموطوء قد لحبته السابلة، أي مرت به.

(٢) الضبي، المفضليات، ص ٢٧٢.

(٣) ديوان كعب، ص ٩٢. المستهلك: الطريق الذي يهلك وارده.

(٤) الضبي، المفضليات، ص ١٦٧.

ومن لوازم نسج الحصر شطب الجريد، ومنهن الشواطب، قال أحدهم:

عَفَتِ الدِّيَـارُ خِلاَفَهُمْ فَكَأَنَّمَـا

بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَ حَصِيـراً(١)

وقال قيس بن الخطيم:

تَرَى قِصَدَ الـمُرَّانِ تَهْوِي كَأَنَّهَـا

تَذَرُّعُ خِرْصَانٍ بِأَيْدِي الشَّوَاطِـبِ(٢)

ومما يشبه النواسج في أعمالهن، الطاحنات في عملهن، يقول بُحير ابن لأي:

تَبَيَّنْ رُسُوماً بِالرُّوَيْنَعِ قَدْ عَفَـتْ

لِعَنْزَةَ قَدْ عُرِّينَ حَوْلاً كُلاحِـلاً

تَعَاوَرَهَا صَفْقُ الرِّيَاحِ فَأَصْبَحَتْ

كَمَا رَدَّ أَيْدِي الطَّاحِنَاتِ المناخلا(٣)

---

(١) القرطبي، الجامع، م٥، ج١، ص ٣٠٢.

(٢) ديوان قيس بن الخطيم، ص ٨٥. قِصَد: كِسَر. المران: الرماح. التذرع: قدر ذراع. خرصان: جمع خُرص: وهو كل قضيب أو غصن يابس أو رطب من رمح أو سعف.

(٣) أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، المؤتلف والمختلف، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (القاهرة، مط. عيسى البابي الحلبي، ١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ص.ص ٧٦-٧٧.

الباب الخامس

العرقية والشعوبية

استغفر الله

الفصل الأول

الولاء والانتماء

وقبل أن ننتهي من هذا البحث يجب أن نؤكد أن هذه الرؤية ليست هي الشعوبية التي عرفناها ي العصر العباسي الأول، فهي رؤية خاصة تولدت من خلال علاقات اجتماعية وسياسية واقتصادية. واستمرت تعكس موروثاً ثقافياً معيناً. وليس أدل على أن هذه ليست هي الشعوبية من أن الشعراء كانوا يتهاجون، فيرمي بعضهم بعضا بها. وليس أدل على أن هذه ليست هي الشعوبية من أن عبيدهم كانوا يشعرون بأنهم جزء منهم. ونجد ذلك في هذه الرؤية التي يرويها الجاحظ في فترة الشعوبية نفسها عن عبد أسود. يقول الجاحظ:

«رأيت أسود حبشيا لبني أسد قدم من شق اليمامة فصار ناطوراً، وكان وحشياً مجنونا لطول الغربة مع الإبل، وكان لا يلقى إلا الأكرة، فلا يفهم عنهم، ولا يستطيع إفهامهم، فلما رآني سكن إلي وسمعته يقول: لعن الله أرضاً ليس بها عرب»(١).

بل إن من أقوى الأدلة على أن هذه ليست هي الشعوبية أن القبائل العربية كانت تدعي انتساب الأقوام الأخرى إليهم، ويعدونهم جزءاً منهم، كما قال أحد الأعاجم يذكر ذلك، وهو في معرض تعيير العرب اختلافها في النسب واستلحاقها للأدعياء:

(١) الجاحظ، رسائل، «رسالة في الحنين إلى الأوطان»، ج٢، ص.ص ٤٠٥-٤٠٦.

زَعَمْتُمْ بِأَنَّ الهِنْدَ أَوْلَادَ خِنْـدِفٍ
وَبَيْنَكُمُ قُرْبَى وَبَيْنَ البَرَابِـــرِ
وَدَيْلَمَ مِنْ نَسْلِ ابن ضَبَّةَ بَاسِـلٍ
وَبُرْجَانَ مِنْ أَوْلَادِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ
فَقَدْ صَارَ كُلُّ النَّاسِ أَوْلَادَ وَاحِدٍ
وَصَارُوا سَوَاءً فِي أُصُولِ العَنَاصِرِ(١)

ولعل هذا الاحتجاج من هذا الادعاء جاء ردة فعل على تلك الأقوال التي أدلى بها بعض الشعراء، مثل قول جرير يذكر أن فارس والروم والعرب من ولد إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام:

وَيَجْمَعُنَا وَالغُرُّ أَبْنَاءَ سَـــارَةٍ
أَبٌ لانُبَالِي بَعْدَهُ مَنْ تَعَـــذَّرَا
وَأَبْنَاءَ إِسْحَاقَ اللُّيُوثِ إِذَا ارْتَدَوْا
حَمَائِلَ مَوْتٍ لابِسِينَ السَّنَـــوَّرَا
إِذَا افْتَخَرُوا عَدُّوا الصُّبَهْبَذَ مِنْهُمُ
وكِسْرَى وَعَدُّوا الهُرْمُزَانَ وَقَيْصَرَا
وكَانَ كِتَابٌ فِيهِمُ وَنُبُــــوَّةٌ
وكَانُوا بِإِصْطَخْرَ الْمُلُوكَ وَتُسْتَرَا(٢)

ومن ثم فنحن لم نر أثراً للشعوبية في العصر الجاهلي، وقد أشار أحد الدارسين إلى القول المنسوب إلى أمية بن أبي الصلت في الإشادة بحضـــارة الفرس

---

(٢) أحمد بن محمد عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين، (القاهرة، مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م)، ج٣، ص ٤٠٧. وانظر، إحسان النص، العصبية القبلية (......، دار الفكر، ١٩٧٣م).

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٢١١، وانظر ديوان جرير، ص ص ٢٤٢-٢٤٣.

والنعي على العرب في حياتهم البدوية:

تِلْكَ الـمَكارِمُ لاَ قَعْبَانَ مِنْ لَبَنٍ
شِيبَا بِمَـاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْـوَالاَ(١)

ولعل موقف سحيم عبد بني الحساس في نساء قومه يشكل مرحلة من مراحل الثورة والتمرد ضد موقف العرب من العبيد مما أدّى إلى قتله حرقاً(٢).

ويمثل موقفه ذاك قوله:

أَشْعَارُ عَبْدِ بَنِي الحَسْحَاسِ قُمْنَ لَهُ
يَوْمَ الفَخَارِ مَقَامَ الأَصْلِ وَالـوَرِقِ
إنْ كُنْتُ عَبْداً فَنَفْسي حُرَّةٌ كَرَماً
أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنِّي أَبْيَضُ الخُلُقِ(٣)

---

(١) خير الله طلفاح، الشعوبية عدو العرب الأول (بغداد، مط. المعارف، ط أولى، ١٩٧٣م)، ص ١٥. وانظر: بهجة عبدالغفور الحديثي، أمية بن أبي الصلت: حياته وشعره، (بغداد، مط. العاني، ١٩٧٥م)، ص ٣٥٠. وانظر كذلك، عبدالهادي الفكيكي، الشعوبية والقومية العربية (بيروت، مط. دار الكتب ب.ت)، ص.ص ٥-٤٢.

(٢) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق عبدالعزيز الميمني (القاهرة، مط. الدار القومية ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م)، ص.ص ٦٤-٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٥.

رفعه لكم أبو هادي زايد بن زايد

غفر الله له ولوالديه

ولجميع المؤمنين والمؤمنات

الفصل الثاني

بوادر الشعوبية

نجد هذه في قول إسماعيل بن يسار يفتخر بالفرس بين يدي هشام بن عبدالملك فيقول:

إنّي وَجَدِّكَ مَا عُودِي بِذِي خَوَرٍ
عِنْدَ الحِفَاظِ وَلاَ حَوْضِي بِمَهْدُومِ
أَصْلِي كَرِيمٌ وَمَجْدِي لاَ يُقَاسُ بِهِ
وَلِي لِسَانٌ كَحَدِّ السَّيْفِ مَسْمُومِ
جحَاجِحٍ سَادَةٍ بُلْجٍ مَرَازِبَةٍ
جُرْدٍ عِتَاقٍ مَسَامِيحٍ مَطَاعِيمِ
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وَسَابُورَ الجُنُودِ مَعاً
وَالهُرْمُزَانُ لِفَخْرٍ أَوْ لِتَعْظِيمِ
أُسْدُ الكَتَائِبِ يَوْمَ الرَّوْعِ إِنْ زَحَفُوا
وَهُمْ أَذَلُّوا مُلُوكَ التُّرْكِ وَالرُّومِ
يَمْشُونَ فِي حَلَقِ المَاذِيِّ سَابِغَةً
مَشْيَ الضَرَاغِمَةِ الأُسْدِ اللَّهَامِيمِ
هُنَالِكَ إِنْ تَسْأَلِي تُنْبِي بِأَنَّ لَنَا
جُرْثُومَةً قَهَرَتْ عِزَّ الجَرَاثِيمِ(١)

(١) الأغاني، ج٤، ص.ص ٤٢٢-٤٢٣، وانظر الجاحظ، رسائل...، «رد السودان على البيضان، ص.ص ١٨٢-١٩٣. وانظر كذلك:

وعلينا ألا نغلو في تقدير مثل هذه الأقوال، وأن نعود إلى ذلك الكم الكبير من العلماء الموالي الذين كان بعضهم أشد عصبية للعرب من العرب أنفسهم، بل كان بعضهم موغلا في بدائته وتوحشه، وكأنه أحد أعرابهم.

ولا بد أن نتذكر جيدا أن العرقية، أو ما يزعم بعد ذلك من أمر الشعوبية، ليست خاصة بالعرب، ففي فارس والروم كانت الطبقية بالمعنى الدقيق والمعاصر لهذا الاستعمال، مطبقة عمليا، فكانت بشعة الصورة، قبيحة المنظر، مؤلمة الوقع على النفوس، ولم تكن التلفظات العرقية تثير حساسية جارحة بين العرب وغير العرب حتى نهاية العصر الأموي أو بعده، فما عند العرب هو صفات لا ممارسات.

اما الاستشهاد بالعرب البدو على العرب، فهو استشهاد قاصر، مبعثه الجهل والحقد، فقد ذم القرآن الكريم الأعراب في أكثر من موضع، ولم يذم العرب قاطبة، فأولئك الذين يتعالون عن الصنائع، ويرون غيرهم أحط منهم وأدنى هم جزء من العرب، أما العرب، فهم في اليمن أهل صناعة، وهم في مكة أهل تجارة، وهم في يثرب أهل زراعة، وهم في البحرين (قديما) أهل صيد وبحر، وهم في الشام وعمان والعراق كل هؤلاء.

- أحمد أمين، ضحى الإسلام (القاهرة، مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٧، ١٩٦٤م)، ج١، ص.ص ١٧-٣٤.
- محمد بديع شريف، الصراع بين الموالي والعرب (مصر، دار الكتاب العربي، ١٩٥٤م)، ص.ص ٣-٢٦. زاهية قدورة، الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط أرلى، ١٩٧٢م)، ص.ص ٢٧-٨٣.

وكلمة ختامية ونحن نختتم هذا الكتاب هي:

أن العرقية شعور بالانتماء، إنها إثبات للهوية، فعلى الرغم من أن العرب لم يعرفوا كلمة "عرب" بمعناها الأممي إلا فلتات نسمعها بين حين وآخر قبيل الإسلام، ثم هي واضحة بعد الإسلام (عرب في مقابل عجم)، فإن العرقية لم تكن عنصرية، أي لم تكن تحمل في طياتها التعصب. أو الحقد والكراهية للشعوب التي احتكت بها، بل على العكس من ذلك كانوا يقدرون الفرس أيما تقدير، وكانوا يخشون من الروم ويخافونهم (زرق العيون)، وكانوا معجبين بانضباط الحبش العسكري. وهم أعطوا الفرس صورا جميلة، وكذلك الروم، ولم تتغير نظرتهم هذه في الجاهلية أو الإسلام. وعلينا أن نعد ما نسميه عنجهية من العرب في العصر الأموي، تكثيفا لذلك التقدير للفرس، والخوف من الروم، والإعجاب بالأحباش، ومحاولة لمواجهة عنصرية الفرس والروم، أي تحديد هويتهم هم، وللإسلام دوره بعد ذلك في إذابة الفوارق والعصبيات.

وكيف تكون العرقية حقدا وكراهية، وقد وصفوا بعضهم بأشد مما وصفوا به غيرهم.

أما الطبقات العاملة، فقد رأينا صورا جمالية، ولم نر صور عسف وسخرة وتعذيب، وهي الصور التي عرفتها طبقة العبيد والأسارى والمستضعفين في كل المجتمعات ذات التقاليد الراسخة في فارس وروما.

وعلينا بعد، ألانعبأ بموروثاتنا عن الشعوبية، كما علينا ألا نسقط الحاضر على الماضي، فنغذي إحساساتنا الشخصية بدعاوى أصبحت موضع بحث ودراسة هنا.

رفعه لكم أبو هادي ابن زايـد

غفر الله له ولوالديه

ولجميع المؤمنين والمؤمنات

المصـــادر

الكـتب

- أحمد بن محمد عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق أمين وآخرين (القاهرة، مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م).

- الأخفش الأصغر، كتاب الاختيارين، تحقيق فخرالدين قباوة (دمـشق، مط. مـحـمـد هاشم الكتـبي، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).

- إسماعيل بن القاسم القالي، الأمالي (مصر، مط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م).

- الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل (بيروت، المكتب الاسلامي، ب.ت).

- أبو بكر محمد القاسم الأنباري، الزهراء، تحقيق حاتم الضامن (بغداد، دار الرشيد، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

- أبو تمام حبيب بن أوس، كتاب الوحشيات، تحقيق عبدالعزيز الميمني (مصر، مط. دار المعارف، ط٢، ١٩٧٠م).

- أبو جعفر محمد بن حبيب، المحبر، تحقي أبلزه ليختن شتيتر (بيروت، المكتب التجاري، ب.ت).

- أبو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، تحقيق إ. إ. بيفان، (ليدن، مط. بريل، ١٩٠٥م).
- أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة، تحقيق محيي الدين عبدالحميد (مصر، مط. دار الجيل، ط١، ١٩٧٢م).
- أبو الفدا عماد الدين إسماعيل، البداية والنهاية (القاهرة، دار الغد العربي، ط ٢، ١٤١١هـ. ١٩٩٠م).
- شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت، معجم البلدان (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، مجالس ثعلب، تحقيق عبداسلام محمد هارون (مصر، مط. دار المعارف، ذ٢، ١٩٦٠م).
- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر، مط. دار النهضة).
- أبو عبدالله محد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (مصر، مط. لجنة التأليف والنشر، ط أولى، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م).
- أبو علاء المعري، رسالة الصاحل والشاحج، تحقيق عائشة عبدالرحمن (مصر، دار المعارف، ١٩٧٠م).
الفصول والغايات، ضبط محمود حسن زناتي (بيروت، المكتب التجاري، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م).
- أبو علي أحمد بن محمد الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين (و) عبدالسلام هارون (مصر، مط. لجنة البيان العربي، ط أولى، ١٣٧١هـ/١٩٥١م).

- أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيان، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (القاهرة، مط. السعادة، ط٣، ب.ت).
الحيوان، تحقيق محمد عبدالسلام هارون (مصر، مؤسسة الخانجي، ط٢، د.ت).
رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلا هارون (...

- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (بيروت، مط. دار الثقافة، ١٩٦٥م).

- أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدن عبدالحميد (القاهرة، مط. السُّنة المحمدية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (بيروت، دار صادر، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م).

- أبو القاسم بن بشر الآمدي، المؤتلف والمختلف، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨١هـ/١٩٦١م).

- القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي (مصر، مط. عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٤، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

- ابن المجاور جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، صفة بلاد اليمن، تحقيق أوسكر لوفغرين (لندن، مط. بريل، ١٩٥١م).

- أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر (مصر، دار المعارف، ١٩٦٦م).

المعاني الكبير (حيدر أباد، مط. مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م).

- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس (بيروت، دار مراد، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

- المفضل بن محمد الضبي، المفضليات، رواية ابن الأنباري، تحقيق شارلز لايل (أكسفورد، مط. جامعة اكسفورد، ١٩٢١م).

- نصر مزاحم المنقرى، وقعة صفين، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ).

- هبة الله بن علي بن حمزة بن الشجري، الحماسة الشجرية، تحقيق عبدالمعين الملوحي (و) أسماء الحمصي (دمشق، مط. وزارة الثقافة، ١٩٧٠م).

- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (و) عبدالمجيد قطامش (القاهرة، مط. الدار القومية، ط أولى، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

الدواوين الشعرية

- ديوان جران العود (القاهرة، مط. دار الكتب المصرية، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م).
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم (بيروت، دار صادر، ط٣، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق عزة حسن (دمشق، مديرية إحياء التراث، ١٢٧٩هـ/١٩٦٠م).
- أمية بن أبي الصلت، حياته وشعره، بهجة عبدالغفور الحديثي (بغداد، مط. العاني، ١٩٧٥م).
- ديوان الأعشى، تحقيق محمد محمد حسين (مصر، مط. النموذجية، ١٩٥٠م).
- ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر، مط. دار المعارف، ١٩٥٨م).
- ديوان جرير، تحقيق محمد إسماعيل الصاوي (مصر، مط. الهادي، ط أولى، ١٣٥٣هـ).
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات (بيروت، دار صادر، ١٩٧٤م).

– ديوان الحطيئة، تحقيق نعمان أمين طه (القاهرة، مط. مصطفى البابي الحلبي، ط أولى، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م).

– ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق عبدالعزيز الميمني (مصر، مط. دار الكتب، ط أولى، ١٣٧١هـ/١٩٥١م).

– ديوان ابن الدمينة، تحقيق أحمد راتب النفاح (مصر، مط. المدني، ١٣٧٩هـ).

– ديوان ذي الرمة، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح (بيروت، مؤسسة الإيمان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

– ديوان سحيم عبد بني الحماس، تحقيق عبدالعزيز الميمني (القاهرة، مط. الدار القومية، ١٣٩٩هـ/١٩٥٠م).

– ديوان سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدين قباوة (حلب، المكتبة العربية، ط أولى ١٣٨٧هـ/١٠٦٨م).

– ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق صلاح الدين الهادي (مصر، مط. دار المعارف، ١٩٧٧م).

– ديوان طرفة بن العبد، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال (دمشق، مط. مجمع اللغة العربية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

– ديوان الطرماح، تحقيق عزة حسن (دمشق، مط. مديرية إحياء التراث، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

– ديوان عامر بن الطفيل، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق شارلس لابل (ليدن، مط. إ. ج. بريل، ١٩١٣م).

- ديوان عبدالله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم (بيروت، دار صادر، ١٣٨٧هـ/١٩٥٨م).

- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار (مصر، مط. مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط أولى، ١٣٧٧هـ/١٩٥٦م).

- ديوان العجاج، تحقيق عزة حسن (بيروت، دار الشروق، ١٩٧١م).

- ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي، تحقيق حاتم الضامن (بغداد، المجمع العلمي الراقي، ١٩٨٧م).

- ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد جبار المعيبد (بغداد، مط. الجمهورية، ١٩٦٥م).

- ديوان العرجي، تحقيق خضر الطائي (و) رشيد العبدي (بغداد، مط. الشام الإسلامية، ط أولى، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م).

- ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق جيمز لايل (كمبردج، مط. جامعة كمبردج، ١٩١٩م).

- ديوان عمر بن كلثوم، تحقيق فرينس كرنكو، مجلة المشرق.

- ديوان عنترة بن شداد، تحقيق عبدالمنعم عبدالرؤوف شلبي (بيروت، دار صادر، ١٣٨٧هـ/١٩٥٨م).

- ديوان الفرزدق، تحقيق كرم البستاني (بيروت، دار صادر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

- ديوان القتال الكلابي، تحقيق إحسان عباس (بيروت، دار الثقافة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م).

- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد (بيروت، دار صادر، ط٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).

- ديوان كثير عزة، تحقيق إحسان عباس (بيروت، دار الثقافة، ١٣٩١هـ/١٩٦٧م).

- ديوان ليلى الأخيلية، تحقيق خليل إبراهيم العطية (و) وخليل العطية (بغداد، مط. دار الجمهورية، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

- ديوان أبي محجن الثقفي، تحقيق صلاح الدين المنجد (بيروت، دار الكتاب الجديد، ط أولى، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م).

- ديوان ابن مقبل، تحقيق عزة حسن (دمشق، مط. مديرية إحياء التراث، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م).

- ديوان مسكين الدارمي، تحقيق عبدالله الجبوري (و) خليل إبرايهم العطية (بغداد، مط. البصري، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م).

- ديوان معن بن أوس المزني، تحقيق نوري حمودي القيسي (و) حاتم صالح الضامن (بغداد، مط. دار الجاحظ، ط أولى، ١٩٧٧م).

- ديوان النابغة الجعدي، تحقيق عبدالعزيز رباح (بيروت، المكتب الإسلامي، ط أولى، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٥م).

- شرح أشعار الهذيليين، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (مصر، مط. المدني، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م).

– شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق فخر الدين قباوة (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط أولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

– شرح ديوان كعب بن زهير (مصر، مط. دار الكتب المصرية، ط أولى، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م).

– شرح ديوان لبيد، تحقيق إحسان عباس (الكويت، مط. الحكومة، ١٩٦٢م).

– شعراء مقلون، حاتم الضامن (بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٧م).

– شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق فخر الدين قباوة (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

– شعر عبدالله بن الزبير الأسدي، تحقيق يحيى الجبوري (بغداد، دار الحرية، ١٣٩٤هـ/١٩٧٢م).

– شعر الحكم بن عبدل الأسدي، تحقيق محمد نايف الدليمي، مجلة المورد، ١٩٧٦م).

– شعر خفاف بن نوبة السلمي، جمع نوري القيس (بغداد، المعارف، ١٩٦٨م).

– شعر الخوارج، تحقيق إحسان عباس (بيروت، مط. دار الشروق، ط٤، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

– شعر الراعي النميري، تحقيق حمودي القيس وهلال ناجي (بغداد، مط المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

– شعر عمرو بن أحمر الباهلي، تحقيق حسين عطوان (دمشق، مجمع اللغة العربية، ب.ت).

– شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع داود سلوم (النجف، مط. النعمان، ١٩٦٩م).

– شعر النمر بن تولب، تحقيق نوري حمودي القيس (بغداد، مط. المعارف، ١٩٦٩م).

– شعر يزيد بن مفرغ الحميري، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

– قصائد جاهلية نادرة، تحقيق يحيى الجبوري (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط أولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

استغفر الله

المراجع العربية

- أحمد أمين، ضحى الإسلام (القاهرة، مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٧، ١٩٦٤م).
- إبراهيم أحمد رزقانه، العائلة البشرية (مصر، مكتبة الآداب، ١٩٦٠-١٩٦١م).
- إبراهيم دملخي، الألوان نظريا وعمليا (حلب، مط. أوفست اكندي، ط أولى، ١٩٨٣م).
- إحسان النص، العصبية القبلية (؟، دار الفكر، ١٩٧٣م).
- أحمد مختار عمر، الألوان واللغة (الكويت، دار البحوث العلمية، ط أولى، ١٩٨٢م).
- جميل سعيد، إحساس الشعراء العرب بالألوان والأصوات، مجلة كلية الآداب والعلوم، بغداد.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب (بيروت، دار العلم للملايين، ط أولى، ١٩٦٨م).
- خير الله طلفاح، الشعوبية عدو العرب الأول (بغداد، مط. المعارف، ط أولى، ١٩٧٢م).

- زاهية قدورة، الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط أولى، ١٩٧٢م).
- صلاح الفوال، البناء الاجتماعي للمجتمعات البدوية (القاهرة، مط. الاستقلال، ١٩٨٣م).
- عمر رضا كحالة، العرب (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط أولى، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- غوستاف فون غرونباوم، دراسات في الأدب العربي، ترجمة إحسان عباس وآخرين (بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٥٩م).
- محمد بديع شرف، الصراع بين الموالي والعرب (مصر، دار الكتاب العربي، ١٩٥٤م).
- محمد مصطفى هدارة، الأدب العربي في العصر الجاهلي (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م).
- محمد النويهي، ثقافة الناقد الأدبي (القاهرة، مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط أولى، ١٩٤٩م).
- محمود الأمين، مذكرات طلاب السنة الأولى الجامعية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٣٨٨هـ-١٣٨٩هـ).
- بنيه عاقل، تاريخ العرب القديم (بيروت، مط. دار الفكر، ط٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- نسيب وهيبه الخازن، من الساميين إلى العرب (بيروت، مط. المكتب العالمي، ب.ت).
- وليام هاولز، ما وراء التاريخ، تر: أحمد أبو زيد (بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

المراجع الأجنبية

H.N. Huttchinson, The living Rases of Mankind (London, Harzell, Watson and Viney, ltd, n.d.)

Sir William Jones Knight, Anniversary Discovere, Asiatic Researches.

College of Arts - Research Center
Publication and Documentation Guidelines

The Research Center publishes studies related to the humanities and social sciences, and limits submissions to staff members of the College of Arts, King Saud University. Contributions, whether or not funded by the Research Center, will be arbitrated according to the following rules:

I. General Requirements:

1. Only original contributions are considered for publication.
2. Contributors are required to complete the relevant form provided by the Research Center.
3. Three copies of the manuscript must be provided along with:
   a) approximately one page abstract in Arabic
   b) approximately one page abstract in English.
4. a) 40 pages is the minimum acceptable length of contributions.
   b) Contributions should be divided into main and sub-headings

II. Documentation

Contributors should abide by the following research and documentation rules:

1. References should be cited in the text according to author, year, and page number (in parentheses). Cited references should also be compiled in bibliographical form at the end of the text. The bibliography should include: author, year, periodical name, volume number: number of specific issue, and page numbers.

Example of a cited article:

Al Shareef, Abdulrahman, 1980, "Studies in the Geography of the Kingdom of Saudi Arabia," Journal of the College of Arts, vol. 7(2), pp. 3-25.

2. A cited book should appear under the author (or editor), year, title, publisher, and place. Example:

Al Hazmi, Mansoor Ibrahim, 1980, The Art of fiction in Modern Saudi Literature, The Sciences Press House, Riyadh, Saudi Arabia.

An edited Collection should appear as follows:

Abdulbaki, Mustapha Haaj, 1413 A.H., The Importance of Topographic Analysis in Surveying Mountain Areas, in Al Saleh, Naser Abdullah, and others (eds.), The Scientific Book: Proceedings of the Fourth Forum of Departments of Geography in the Kingdom of Saudi Arabia, Um Al-Qura University, Makkah.

Cited Theses and Dissertations should appear as follows:

Al abadi, Abdullah Hassan, 1981, Settling and Residing Bedouins in Saudi Arabia: An Analytical and Social Study, Unpublished Dissertation, Michigan State University, Michigan.

3. In particular Cases, one may obtain the Center's prior Consent for the adoption of any recognized Convention of documentation, especially when the adopted one serves better the nature of the study.

III. Tables, Drawings, Illustrations, Plates, etc. should conforms to the allocated galley proofs (12x18 cm).

IV. Notes and comments:

Notes and comments should be consecutively arranged and numbered according to their occurrence in the text, and should appear on separate pages at the end of the document, before the bibliography.

V. Decision Process:

1. Contributions in conformity with these rules will be sent to two referees, and to a third arbiter in case the first two reach different decisions.
2. The Research Center will send to contributors an acknowledgment of receipt, and statement on the final decision.

VI. 10% of the total copies the Research Center decides to publish will be sent to the author free of charge.

VII. The Research Center reserves the Copy Right for five years (starting from the date of the cononcil's decision of publication).

VIII. The Research Center normally publishes no more than 2000 copies, and no less than 500 copies, unless the council of the Research Center decides otherwise.

Contributions and Inquiries should be addressed to:

Director, The Research Center
College of Arts, King Saud University
P. O. Box 2456, Riyadh 11451, Saudi Arabia

College of Arts - Research Center
Publication and Documentation Guidelines

The Research Center publishes studies related to the humanities and social sciences, and limits submissions to staff members of the College of Arts, King Saud University. Contributions, whether or not funded by the Research Center, will be arbitrated according to the following rules:

I. General Requirements:

1. Only original contributions are considered for publication.
2. Contributors are required to complete the relevant form provided by the Research Center.
3. Three copies of the manuscript must be provided along with:
   a) approximately one page abstract in Arabic
   b) approximately one page abstract in English.
4. a) 40 pages is the minimum acceptable length of contributions.
   b) Contributions should be divided into main and sub-headings

II. Documentation

Contributors should abide by the following research and documentation rules:

1. References should be cited in the text according to author, year, and page number (in parentheses). Cited references should also be compiled in bibliographical form at the end of the text. The bibliography should include: author, year, periodical name, volume number: number of specific issue, and page numbers.

Example of a cited article:

Al Shareef, Abdulrahman, 1980, "Studies in the Geography of the Kingdom of Saudi Arabia," Joumal of the College of Arts, vol. 7(2), pp. 3-25.

2. A cited book should appear under the author (or editor), year, title, publisher, and place. Example:

Al Hazmi, Mansoor Ibrahim, 1980, The Art of fiction in Modem Saudi Literature, The Sciences Press House, Riyadh, Saudi Arabia.

An edited Collection should appear as follows:

Abdulbaki, Mustapha Haaj, 1413 A.H., The Importance of Topographic Analysis in Surveying Mountain Areas, in Al Saleh, Naser Abdullah, and others (eds.), The Scientific Book: Proceedings of the Fourth Forum of Departments of Geography in the Kingdom of Saudi Arabia, Um Al-Qura University, Makkah.

Cited Theses and Dissertations should appear as follows:

Al abadi, Abdullah Hassan, 1981, Settling and Residing Bedouins in Saudi Arabia: An Analytical and Social Study, Unpublished Dissertation, Michigan State University, Michigan.

3. In particular Cases, one may obtain the Center's prior Consent for the adoption of any recognized Convention of documentation, especially when the adopted one serves better the nature of the study.

III. Tables, Drawings, Illustrations, Plates, etc. should conform to the allocated galley proofs (12x18 cm).

IV. Notes and comments:

Notes and comments should be consecutively arranged and numbered according to their occurrence in the text, and should appear on separate pages at the end of the document, before the bibliography.

V. Decision Process:

1. Contributions in conformity with these rules will be sent to two referees, and to a third arbiter in case the first two reach different decisions.
2. The Research Center will send to contributors an acknowledgment of receipt, and statement on the final decision.

VI. 10% of the total copies the Research Center decides to publish will be sent to the author free of charge.

VII. The Research Center reserves the Copy Right for five years (starting from the date of the conuncil's decision of publication).

VIII. The Research Center normally publishes no more than 2000 copies, and no leas than 500 copies, unless the council of the Research Center decides otherwise.

Contributions and Inquiries should be addressed to:

Director, The Research Center
College of Arts, King Saud University
P. O. Box 2456, Riyadh 11451, Saudi Arabia

رفعه لكم أبو هادي ابن زايد
غفر الله له ولوالديه
ولجميع المؤمنين والمؤمنات

الإصدارات الحديثة لمركز البحوث

ردمك : X - ٩٩٦٠-٠٥-٥٣٧